

كتابات الرحالة الأوربيين (أخرى) المصاوير المهمة في تروين تاريخ مدينة البصرة ﴿ نماذج مختارة ﴾

الأستاذ المساعد الدكتور

حيدر صبري شاكر الخيواني

جامعة كربلاء-كلية التربية-قسم التاريخ

E-mail: haidredu@yahoo.com

ملخص البحث

اهتم الأوربيون بعد الحروب الصليبية، بشكل واضح، في دراسة أوضاع الشرق. واخذوا يتطلعون في الحصول على المزيد من المعرفة حول سمات الحضارات الشرقية، وقد ازداد ذلك الاهتمام اثر نشاط حركة الاستكشافات الجغرافية منذ أواخر القرن الخامس عشر لاسيما بعد وصول بعض الأشخاص، من المغامرين والرحالة والتجار، الى مناطق لم يتعرفوا عليها من قبل، ومنها العالم الجديد (أمريكا)، مما حفز بعضهم من المغامرين والمستكشفين في اوربا، ممن لديهم الشجاعة الكافية المصحوبة بروح المغامرة وحب الاستطلاع، على القيام برحلات إلى الشرق لاستكشاف العديد من المناطق التي كانوا يجهلون الكثير عنها.

وفي المدة الواقعة ما بين القرن السابع عشر والقرن العشرين ازداد توجه الرحالة الأوربيين تدريجياً إلى الشرق وتلقى بعض منهم دعماً مادياً ومعنوياً من حكوماتهم لأجل القيام بتلك الرحلات، لكون نتائجها تعود عادة بمكاسب علمية وسياسية واقتصادية لصالح تلك الحكومات. وكان العراق من المناطق المهمة التي

استقطبت العديد من هؤلاء الرحالة لكونه موطن أولى الحضارات التي ظهرت على الأرض، والتي كانت وما زالت آثارها شاخصة إلى يومنا هذا، فضلاً عن موقعه الاستراتيجي المتميز. وتمتعه بالكثير من الموارد الطبيعية.

وكانت مدينة البصرة من المدن العراقية المهمة التي استقطبت العديد من الرحالة الأوربيين، وكان العديد منهم، بغض النظر عن أهداف رحلاتهم، يقومون بتدوين الإحداثيات التي تواجههم أثناء رحلاتهم. كما كانوا يصفون المناطق التي يزورونها، وعادات وتقاليد سكانها، وأهم الأحداث السياسية التي عاصروها. وقد اتسمت كتابات بعضهم بالدقة عما شاهدوه وعاصروه من أحداث. ولذلك تعد كتاباتهم من المصادر المهمة في تدوين تاريخ المناطق التي زاروها، ومنها مدينة البصرة.

يتطرق البحث إلى أهمية كتابات الرحالة الأوربيين في تدوين تاريخ مدينة البصرة مسلطاً الضوء على كتابات بعض الرحالة الأوربيين الذين زاروا المدينة، في المدة ما بين القرن السابع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين، ومشاهداتهم وانطباعاتهم عن المدينة وسكانها، مبيناً أهمية تلك الكتابات في تدوين تاريخ المدينة.

يتألف البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تناول الفصل الأول دراسة بدايات تطلع الرحالة الأوربيين للتوجه نحو الشرق، وللعراق بشكل خاص، والأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، بينما تطرق الفصل الثاني إلى أهم الرحالة الذين زاروا مدينة البصرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر وكتاباتهم عن المدينة وأوضاعها، مع توضيح أهمية تلك الكتابات. أما الفصل الثالث من البحث فقد أوضح كتابات أهم الرحالة الأوربيين الذين زاروا البصرة في القرن التاسع عشر والعقود الأولى من القرن العشرين واثرت تلك الكتابات في تدوين تاريخ تلك المدينة.

The Writings of European Travelers as Important Sources in the History of Basrah City (Selected Samples)

Abstract

This research Paper discusses the significance of the writings of European travelers in registering the history of Basrah City . The Paper sheds light on the writings of some European travelers who visited the city during the period of the seventeenth, eighteenth, and nineteenth Centuries, it also deals with those travelers observations and impressions about the City and its inhabitants.

The paper consists of an introduction, three Chapters, and a conclusion. Chapter one examines the beginnings of the European travelers interest in the east and in Iraq in particular. Chapter two is devoted for the study of the most important travelers who visited Basra City during the seventeenth and eighteenth centuries and what they wrote about the City and its conditions. Chapter three explains the significance of the writings of the most important European travelers who visited the City in the nineteenth century, and the influence of those writings in recording the history of the City.

مقدمة :

كانت "بلاد الشرق" من المناطق المهمة التي زارها العديد من الرحالة الأوروبيين لاسيما بعد الحروب الصليبية ولأسباب عدة، منها شخصية وسياسية واقتصادية، وكان هؤلاء الرحالة أثناء زيارتهم للمدن والمناطق التي قصدوها يقومون بتدوين أهم الأحداث التي تواجههم ويقومون بوصف المناطق التي يزورونها من جوانب مختلفة، بما فيها سكان تلك المناطق وعاداتهم، وتقاليدهم، ونشاطهم الاقتصادي. كما كان بعض منهم يذكر في كتاباته الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت في تلك المناطق. وعلى ذلك الأساس تعد الكتابات التي دونها الرحالة الأوروبيون من المصادر المهمة في تدوين تاريخ المناطق التي زاروها. لذلك تم اختيار موضوع البحث لدراسة أهمية كتابات بعض الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مدينة البصرة في تدوين تاريخ تلك المدينة. نظراً للمعلومات القيمة التي تضمنتها تلك الكتابات عن المدينة، والتي تعد من المصادر المهمة التي ترفد المؤرخ والباحث بمعلوماتها القيمة. اعتمد البحث على العديد من المصادر المهمة المتعلقة بموضوع الدراسة وأهمها كتب الرحالة الأوروبيين الذين زاروا مدينة البصرة في مراحل مختلفة ومنهم: الرحالة البرتغالي بيدرو تكسيرا الذي زار البصرة عام ١٦٠٤، والرحالة الإيطالي بترو ديلافاليه الذي زارها عام ١٦٢٥، والرحالة الإيطالي سبستيانيني عام ١٦٦٦، والرحالة الألماني كارستن نيبور عام ١٧٦٥، والرحالة الإيطالي دومينيكو سيستيني عام ١٧٨١، والرحالة الفرنسية مدام ديولافوا عام ١٨٨١. فضلاً عن الرحالة الآخرين.

يتألف البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. تناول الفصل الأول دراسة بدايات تطلع الرحالة الأوروبيين للتوجه نحو الشرق، وللعراق بشكل خاص، والأسباب التي دفعتهم إلى ذلك، بينما تطرق الفصل الثاني إلى أهم الرحالة الذين زاروا مدينة البصرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر وكتاباتهم عنها، مع توضيح أهمية تلك الكتابات في تدوين تاريخ المدينة. أما الفصل الثالث من البحث فقد أوضح كتابات أهم الرحالة الأوروبيين الذين زاروا البصرة في القرن التاسع عشر وأهميتها.

الفصل الأول

التطلع الأوربي نحو الشرق (الدوافع والمبررات)

يعد الرحالة الأوربيون الذين قصدوا مناطق مختلفة من الشرق بهدف القيام بالأبحاث والدراسات جزءاً من المستشرقين الذين سخرُوا طاقاتهم لدراسة شعوب الشرق وتراثها وحضارتها ومجتمعاتها وماضيها. ولم يتفق الباحثون فيما بينهم على مدة معينة لبداية الاستشراق فمنهم من يعتقد ان ظهور تلك الحركة يعود الى القرون الميلادية الأولى، بينما يعتقد بعضهم ان بدايتها في القرن الخامس عشر الميلادي. بينما يرى العديد من المؤرخين الأوربيين ان حركة الاستشراق بدأت رسمياً بصدد قرار مجمع فيينا الكنسي عام ١٣١٢م عندما تم تخصيص عدد من كراسي الأستاذية في اللغة العربية، والعبرية، والسريانية في جامعات باريس وأكسفورد وبولونيا وسلامانكا. ومنذ ذلك التاريخ اخذ العديد من المستشرقين يهتمون بدراسة الإسلام وترجمة القرآن فضلا عن دراسة نتاج الشرقيين في مجال العلوم الإنسانية والعلمية الأخرى. ونشطت حركة الاستشراق منذ القرن الثامن عشر بشكل واضح اثر تغلغل القوى الاستعمارية الأوربية في مناطق مختلفة من الشرق واستيلاء بعض الدول الاستعمارية الأوربية على بعض الممتلكات المادية التراثية والمخطوطات النادرة ونقلوها إلى أوربا وقاموا هناك بإجراء الدراسات عليها. وفي عام ١٨٧٣ عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس وتبعه فيما بعد عقد العديد من المؤتمرات للغرض نفسه^(١).

هناك دوافع عديدة أدت إلى ظهور حركة الاستشراق أهمها الدافع الديني الذي ظهر بين الرهبان في العصور الوسطى. وحاول رجال الدين المسيحي الوقوف بوجه المد الإسلامي الذي أصبح بمثابة تحدياً خطيراً عليهم لاسيما وان التراث العقائدي والفكر الأوربي عجز عن مواجهة الإسلام كقوة عقائدية وفكرية وسياسية. وتمكن المسلمين تدريجياً من القضاء على التهديد البيزنطي لحدود لدولة العربية الإسلامية وواصلوا توسعهم على حساب الأراضي البيزنطية حتى تمكن العثمانيين

(العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب لسنة ٢٠١٢)

فيما بعد من إسقاط القسطنطينية، عاصمة الدولة البيزنطية، عام ١٤٥٣ وهددوا فينا. في الوقت الذي كان رجال الدين المسيح يعتقدون فيه بأن الفكر والثقافة الإسلامية تشكل تهديداً على مبادئ الديانة المسيحية لاسيما بعد أن انتشرت آراء الفلاسفة المسلمين من أمثال ابن رشد حول بعض العقائد المسيحية في أوروبا عبر الأندلس، وأثرت في دعم الحركات الإصلاحية في المجتمع الأوروبي. ونظراً لإخفاق المواجهة السياسية والعسكرية مع العالم الإسلامي فقد قرر رجال الدين إتباع التبشير بداية للغزو الثقافي الديني الذي حل محل الحرب ولأجل ذلك تم إنشاء مراكز علمية لدراسة تاريخ الإسلام والعرب في أوروبا وبمبادرة من الكنيسة الأوربية وتم إنشاء أول مركز لدراسة تاريخ الإسلام وعقيدته في طليطلة عام ١٢٥٠م وعندما عقد المجمع الكنسي في فينا عام ١٣١٢م أقر التقرير الذي أعدّه ريموندل الذي دعا إلى إنشاء العديد من المراكز لتعليم اللغات الشرقية في جامعات أوربية مشهورة ومنها أكسفورد وباريس وتحت رعاية الكنيسة الكاثوليكية. إلا ان العديد من تلك المراكز لم تدرس الفكر الإسلامي بواقعية بل قام بعض أساتذتها بشن حملة لتشويه الفكر الإسلامي. كما ظهرت في أوساط الكنيسة الأوربية حركة تدعو لمعرفة تاريخ الإسلام وعقيدته محاولة لدحض الفكر الإسلامي أيضاً وكان من نتاج تلك الحركة ظهور أول ترجمة^(٢) للقران الكريم عام ١١٤٣ من قبل روبرت أوف كيتون Robert of Ketton (١١١٠-١١٦٠)^(٣).

ويعد الدافع الاستعماري من الدوافع المهمة لحركة الاستشراق فقد عملت الدول الأوربية الكبرى ولسنوات عدة من اجل فرض سيطرتها على دول الشرق بهدف الحصول على مكاسب سياسية واقتصادية. وقد قامت العديد من الحكومات الأوربية بدعم المستشرقين في أعمالهم من اجل تسهيل عملية سيطرتها على بعض المناطق في الشرق لذلك يعد بعض الباحثين ان من الدوافع المهمة لحركة الاستشراق هي لأجل تحقيق أهداف سياسية تتعلق بالمصالح الاستعمارية للدول الأوربية الكبرى. ومما دفعهم لذلك قيام بعض المستشرقين برسم صورة غير واقعية للإنسان الشرقي

وذلك بجعله بكتابتهم متخلفاً فطرياً، مقابل ذلك فأنهم يبينون ان الإنسان الغربي متفوق حضارياً وفطرياً ويحثون الشرقيين على تقليد الغرب في الوقت الذي يحاولون فيه تهميش الحضارة الإسلامية ولاسيما العربية منها^(٤).

ويعد دافع حب المعرفة وتحصيل العلم من الدوافع المهمة التي جعلت بعض الغربيين يندفعون لدراسة الشرق، انطلاقاً من رغبة ذاتية وهواية شخصية لهؤلاء المستشرقين وتمكن بعضهم من تحقيق انجازات علمية جيدة من خلال الدراسات والأبحاث القيمة التي قاموا بها عن الشرق، على الرغم من ان دراسات بعض منهم كانت تعوزها الدقة بسبب جهلهم باللغات الشرقية أو بسبب بيئة المستشرق وثقافته والأفكار التي أثرت فيه عبر مسيرته العلمية. لذلك نلاحظ بعض المستشرقين يغير مواقفه إزاء موضوع أو قضية معينة بعد مدة من طرح رأيه الأول فيها تبعاً لتوسع معرفته ومعلوماته عن تلك القضية^(٥).

كان العراق من المناطق التي اهتم العديد من المستشرقين بدراسة حضارته وأصبح منذ مطلع القرن السابع عشر مركز جذب للعديد من الرحالة والمستكشفين ولأسباب عدة، فضلاً عن حضارته العريقة التي تمتد في جذورها إلى آلاف السنين فان أرضه شهدت العديد من الأحداث التاريخية التي ذكر بعضها في الكتب السماوية. وكانت وما زالت بقايا المدن الأثرية المهمة الموجودة على أرضه من مناطق الجذب المهمة لهؤلاء الرحالة كونها تعد من أهم المدن في دول العالم القديم مثل آشور، وأكد، وبابل ونيوى وأور وغيرها من المدن الأخرى.

ازداد توجه الرحالة الأوربيين تدريجياً إلى الشرق وتلقوا هؤلاء تشجيعاً من حكوماتهم على القيام بتلك الرحلات كونها تؤدي إلى حصول تلك الحكومات على مكاسب اقتصادية وسياسية وعلمية منها. وأسست في بريطانيا عام ١٦٠٠ شركة الهند الشرقية الانكليزية English East India Company^(٦) لاستكشاف الشرق وأسست على غرارها في فرنسا وهولندا شركات للأهداف ذاتها. وبعد نجاح الانكليز

في الوصول إلى الهند وإقامة علاقات تجارية معها. وفي المناطق الواقعة على سواحل الخليج العربي ازدادت رغبة الكثير من الأوروبيين في الوصول إلى الشرق واستكشافه والاستفادة من الثروات الطبيعية الموجودة فيه^(٧).

وكان للمنقبين والآثاريين دور مهم في زيارة العديد من المدن الأثرية في العراق وإجراء دراسات عنها. ويعد الرحالة بنيامين التطيلي من أوائل الرحالة الأوروبيين الذين زاروا العراق عام ١١٦٠ ميلادية، وكانت بداية رحلته من إيطاليا مروراً باليونان وقبرص وفلسطين حتى وصل العراق ومن ثم واصل رحلته إلى بلاد فارس. وأثناء رحلته سجل العديد من المذكرات عن المناطق التي مر بها وركز بشكل رئيس على أوضاع اليهود في تلك المناطق لا سيما أحوال يهود العراق. فضلاً عن وصفه للمدن الأثرية التي زارها في العراق ومنها نينوى وبابل^(٨).

ونشطت عملية الاهتمام بالدراسات الشرقية في أوروبا عندما أخذ بعض الأوروبيين يقيمون في بعض مدن الشرق، ومنها مدن العراق، لمدة معينة حسب طبيعة عملهم أو المهمات التي كانت تكلفهم بها حكوماتهم. فقد كان بعض من هؤلاء مندوبين سياسيين يمثلون دولهم في تلك المدن، وكان بعضهم الآخر منهم يعمل وكيلاً لبعض الشركات التجارية الأجنبية فضلاً عن المستكشفين والباحثين ومنهم عالم النبات الفرنسي اندريه ميتشو André Michaux^(٩) الذي أجرى بعض التنقيبات والأبحاث في المدن الأثرية في العراق وتمكن من العثور على بعض القطع الأثرية النادرة في منطقة طيسفون- سلمان باك حالياً- منقوشة بالخط المسماري. وكذلك المبعوث البابوي جوزيف بوشام Joseph Beauchamp الذي أقام في بغداد في المدة ما بين (١٧٨٥-١٧٩٠) وكان إلى كونه رجل دين، فلياً ومهتماً بالدراسات التاريخية. وقد قام بزيارة بعض المدن الأثرية المهمة في العراق ومنها مدينة بابل وأجرى بعض التنقيبات وأزاح الأنقاض عن تمثال أسد بابل، كما كشف عن بعض الأجزاء من باب عشتار. وكان بوشام يرسل (أكاديمية العلوم الفرنسي) وقد تم نشر

نتائج تحرياته في مجلة العلماء الفرنسيين Journal Des Savant في عامي (١٧٨٥) و (١٧٩٠). وكانت رحلته من العوامل التي شجعت بعض المؤسسات العلمية والباحثين في أوروبا على الاهتمام أكثر بالدراسات الشرقية، حتى ان شركة الهند الشرقية البريطانية طلبت من مندوبها في مدينة البصرة ان يرسل إلى بريطانيا بعض قطع الأجر التي تحتوي على كتابات مسمارية^(١٠).

ونشط دور البريطانيين في عمليات التنقيب والدراسات الأثرية بعد تعيين كلوديوس ريتش Claudius Rich^(١١) مندوباً لشركة الهند الشرقية البريطانية في بغداد، فضلا عن كونه قنصلا لبلاده في بغداد. وكان ريتش يجيد التحدث باللغتين التركية والعربية فضلا عن الانكليزية. وقد أجرى بعض التنقيبات والدراسات عام ١٨١١ على بقايا مدينة بابل الأثرية، كما زار مدينة نينوى القديمة واستخرج من بقاياها بعض الألواح المسمارية^(١٢).

وشهد ميدان التنقيب في المناطق الأثرية في العراق تنافساً بين البريطانيين وبين الفرنسيين منذ عام ١٨٤٢ حتى نهاية القرن التاسع عشر ففي المدة ما بين (١٨٤٢-١٨٤٤) قام القنصل الفرنسي في الموصل آنذاك، باول أميل بوتا Paul Emile Botta^(١٣) بإجراء عمليات تنقيب في منطقة (خرسباد) وتمكن من العثور على بعض المنحوتات الآشورية وأرسل بعضها إلى فرنسا. وخلف بوتا في مجال البحث والتنقيب الباحث الفرنسي فكتور بلاس Victor Place الذي قام بالتنقيب في خرسباد واتسمت أعماله بالدقة ودون الأعمال التي قام بها ورسم بعض المخططات للمناطق التي نقب فيها. وشجعت النتائج التي تحققت عن ذلك احد الرحالة البريطانيين المدعو هنري لايرد Henry Layard^(١٤) على القيام بعملية تنقيب عام ١٨٤٥ في مدينة نمرود (مدينة كالح القديمة) وكذلك في مدينة نينوى وتمكن من استخراج العديد من القطع الأثرية النادرة وأرسلها الى لندن لتعرض في المتحف البريطاني. وفي المدة ما بين (١٨٤٩-١٨٥١) قام لايرد مرة أخرى بإجراء عمليات تنقيب في نمرود

وفي بعض التلول الأثرية القريبة منها وتمكن أيضاً من العثور على بعض القطع الأثرية. وبعد ذلك تبعه رحالة بريطاني آخر وهو هنري رولنسون Henry Rawlinson^(١٥) وقام بعمليات التنقيب في بقايا بعض المدن الآشورية الموجودة في شمال العراق وساهمت اكتشافاته على مساعدة الباحثين فيما بعد على حل رموز الخط المسماري كما أجرى بعض عمليات التنقيب في بقايا مدينة نينوى وتمكن من العثور على العديد من القطع الأثرية في قصر الملك الآشوري آشور بانيبال(٦٦٨-٦٢٧ق.م.) بما فيها محتويات مكتبة القصر^(١٦).

يتضح لنا مما سبق ان الاهتمام بالدراسات الشرقية في أوروبا نال أهمية كبيرة من لدن الحكومات والمؤسسات فضلا عن بعض الأشخاص. وكان ذلك الاهتمام يعود لأسباب عدة منها سياسية واقتصادية ودينية وعلمية وشخصية. واقتبل بعض المستشرقين على الرحيل الى الشرق بالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تواجههم والتي تهدد حياتهم في بعض الأحيان وذلك بهدف تحقيق غاياتهم.

الفصل الثاني

أهم الرحالة الأوربيين الذين زاروا البصرة في القرنين

السابع عشر والثامن عشر وكتابتهم عنها

الرحالة بيدرو تكسيرا:

ساعدت الإمكانيات البحرية التي كان يمتلكها البرتغاليون فضلا عن نفوذهم السياسي والعسكري على ان يصبحوا من رواد حركة الكشوف الجغرافية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. لذلك فأن نفوذهم في الخليج كان قبل معظم الدول الأوربية في تلك المنطقة وكان يستند بشكل كبير على النفوذ الذي تمتعوا به في أوروبا. ويعد الرحالة البرتغالي بيدرو تكسيرا من أوائل الرحالة الذين زاروا البصرة في أوائل القرن السابع عشر وتحديدًا عام ١٦٠٤ وجاء في كتاباته عن مدينة البصرة بأنها تضم حوالي عشرة آلاف بيت معظمها قليلة البناء، على الرغم من كبر حجمها، فضلا عن

(العدد الخاص بالمؤتمر العلمي الرابع لكلية الآداب لسنة ٢٠١٢)

ذلك فقد جاء في كتاباته بأن البصرة كان ينقصها الجمال المعماري وان فيها منازل مبنية بالطوب المحروق، الذي لا يبقى أكثر من ثلاث سنوات في الغالب، اما بيوت الفقراء فيها فقد كانت مبنية من مواد بسيطة مثل القصب والسعف. وكانت حصون المدينة في حالة غير جيدة اما قلعتها فوصفها بقوله: ((أما قلعة البصرة الكبيرة فهي في حالة غير مصانة وقد تهدمت اغلب جدرانها، ولكن لا يزال الخندق المحيط بها على حاله ومن الممكن ان يغمر بالماء من القناة القريبة، ولقد وجدت ان اغلب مساكن البصرة داخل قلعتها وكذلك قلب المدينة وشوارعها التجارية ومحلاتها المهنية... وحاميتها المكونة من ثلاثة آلاف رجل اغلبهم من العرب والأتراك والأكراد، فرسان وحملة بنادق. وقصر الباشا حاكم القلعة في السلم والحرب ونقطة جمارك لجمع الضرائب))^(١٧). كما ذكر الرحالة تكسيرا إلى ان المدينة تحتوي على ترسانة بها بعض المدافع والسفن المسلحة التي كان العثمانيين يستخدمونها((للمحافظة على النظام بين العرب المتمردين الذين كانت تحصل منهم الجزية... كانت سفناً قليلة وفي حالة سيئة من حيث البناء والتصميم))^(١٨). وهذا يبين لنا ان المدينة كانت تتخذ إجراءات الحماية من الهجمات الخارجية وان بعض العشائر المتواجدين في أطرافها كانوا يرفضون دفع الضرائب للحكومة العثمانية وكانت القوات العثمانية تتبع القوة من اجل إرغامهم على ذلك. ثم يوضح تكسيرا بكتاباتته ان شيخ عربستان، الذي كانت تخضع لحكمه مدينة الحويزة، له أطماع في البصرة وقد دارت بين قواته وبين القوات العثمانية بعض المعارك عام ١٦٠٤، وتجنباً للأخطار الداخلية والخارجية التي كانت تحيط بالمدينة قام العثمانيون ببناء بعض القلاع والحصون في أماكن عديدة على ضفة النهر وأحد تلك المواقع كان بالقرب من ميناء المدينة. كما تطرق تكسيرا للعلاقات التجارية التي ترتبط بها المدينة مع المدن الأخرى مبيناً ان التمور كانت من أهم صادرات البصرة وإنها كانت تنقل إلى بغداد وعدد من الموانئ الفارسية كما كانت تنقل إلى ميناء هرمز أيضاً^(١٩). وعن الأهمية التجارية للمدينة يقول: ((وتعتبر

البصرة عاصمة التجارة ومحطة التجار القادمين من فارس والبحرين والإحساء والهند عن طريق هرمز وبغداد))^(٢٠).

كما يبين الأحوال العامة للمدينة بقوله: ((وهواء البصرة غير نقي وغير صحي ومناخها حار جداً وسكانها اغلبهم من العرب السكان الأصليين... يتم الانتقال البري في البصرة بواسطة الإبل والبغال والخيول والحمير ويُصدّر بعضها إلى هرمز ومنها إلى الأسواق الهندية... ليس في البصرة مباني ذات أهمية ولكنها تحتوي على عدة حمامات أهلية نظيفة... تخترق القناة الصناعية ارض البصرة وتروى منها البساتين على الطرفين... ان هذه القناة كانت تصل الى ثلاثين فرسخاً داخل البصرة ولكنها اقصر من ذلك الآن))^(٢١).

الرحالة بيترو ديلافاليه Pietro della Valle عام ١٦٢٥:

يعد الايطالي بيترو ديلافاليه من الرحالة الأوربيين الذين زاروا البصرة في القرن الثامن عشر وذكر عنها بعض المعلومات المهمة في مذكراته. وبدأ ديلافاليه رحلته نحو الشرق مبحراً من مدينة البندقية الايطالية باتجاه اسطنبول في ٨ حزيران ١٦١٤ وقضى فيها مدة تعلم خلالها اللغة التركية، كما قام بتأليف كتاب عن قواعد اللغة التركية وكتب وصفاً جذاباً للبلاد العثمانية واهم الشخصيات في الحكومة العثمانية. وفي ١٥ أيلول ١٦١٥ أبحر من اسطنبول الى مصر وبقي فيها لمدة زار خلالها الآثار الفرعونية ثم توجه الى بيت المقدس وحقق أمنيته بعد ان أصبح حاجاً لذلك لقبه بعضهم بـ(المقدسي)، ثم رحل إلى حلب والتقى بشخص ايطالي كان عائداً من بغداد وحدثه عن بغداد فأتجه إلى بغداد وتزوج من فتاة عراقية تدعى(معاني بنت حبيب جان جويرة) الا أنها توفيت في ٣٠ كانون الثاني ١٦٢١. بعدها سافر الى بلاد فارس والهند وفي طريق عودته إلى ايطاليا مر ديلافاليه بالبصرة^(٢٢). واستمرت رحلته الى بلاد الشرق في الفترة ما بين(١٦١٤-١٦٢٥) زار خلالها بعض

المدن الأثرية في العراق ومنها مدينة بابل ومدينة أور الأثرية التي زارها عام (١٦٢٥) ومدينة البصرة التي زارها أثناء عودته من بلاد فارس الى ايطاليا^(٢٣).

كان ديلافاليه يبعث برسائل الى صديقه الطبيب ماريو سكيبانو Mario Schipano وكان يعمل أستاذا في الطب بجامعة نابولي، ومهتماً بالأدب. وبلغ عدد الرسائل التي كتبها ديلافاليه الى سكيبانو (٥٤) رسالة كتب الاولى منها في ٢٣ اب ١٦١٤ من اسطنبول والأخيرة من روما بتاريخ ١ اب ١٦٢٦ وكانت تلك الرسائل تعني بوصف المناطق التي زارها والأحداث التي واجهته فضلا عن ذلك كان ديلافاليه يرسل بعض الباحثين ليسألهم عن بعض الأشياء التي يجهلها وفيما يتعلق بالأحداث الذي ذكرها عن العراق أوضح في رسائله بعض الأحداث السياسية المهمة التي حدثت في الربع الاول من القرن السابع عشر مثل حركة بكر صوباشي وسيطرته على بغداد، ومحاولات الفرس للسيطرة على البصرة^(٢٤).

ومن الجدير بالذكر ان البصرة كانت حتى عام ١٦٢٤ تحت حكم افراسياب^(٢٥). ومن ثم خلفه من بعد موته ولده على حكمها. وكان افراسياب قد تولى حكم المدينة اثر الضعف الذي اتسم به الولاة الذين تعاقبوا على حكمها منذ مطلع القرن السابع عشر، مما أدى إلى تدهور أوضاعها العامة واخذ الأهالي ينتفضون على الحكومة كلما سنحت لهم الفرصة بذلك. الأمر الذي جعل افراسياب وهو من أغنياء المدينة ان يتفق، في العقد الثاني من القرن السابع عشر مع والي البصرة، المدعو أيود Aiud ، واتفق معه على ان يتنازل له عن حكم المدينة مقابل أربعين ألف قرش فوافق الوالي على ذلك. ويذكر الرحالة الفرنسي تافيرينييه Tavernier^(٢٦) ان افراسياب تمكن: ((ان يخلع النير التركي عن بلده ويلقب نفسه أمير البصرة. اما الباشا الذي باع حكومته فقد شنق ساعة وصوله الى القسطنطينية))^(٢٧).

في الرسالة العاشرة من الرسائل التي بعث بها ديلافاليه إلى صديقه ماريو سكيبانو من البصرة بتاريخ ٢٠ أيار ١٦٢٥ يصف له فيها تضاريس المنطقة الواقعة

على ضفتي شط العرب وكيفية اتصال النهر بالخليج فضلا عن وصول سفن تجارية من مناطق مختلفة الى المدينة وهذا يدل على ازدهار الزراعة على ضفتي شط العرب فضلا عن العلاقات التجارية التي كانت ترتبط بها المدينة مع العديد من الدول. ومما ذكره: ((كانت الأرض المحيطة بنا عامرة بأشجار النخيل على جانبي النهر، فالأرض هناك خصبة معطاء ووصلنا إلى موضع فيه جدول عميق تمخر فيه القوارب المحلية وبعض السفن البرتغالية^(٢٨)، ومراكب أخرى مختلفة فتسير إلى البصرة لتقف عند موضع الكمرك))^(٢٩). كما أوضح في الرسالة ذاتها ان المدينة كانت تمتلك سفن حربية وقلعة لحمايتها وان هناك عدة فروع تخرج من "منطقة الخور" يستخدمها الأهالي للتنقل من مكان إلى آخر في أطراف المدينة. ومن خلال ذلك نلاحظ إشارة الرحالة إلى العلاقات التي تربط البرتغاليين ومنها التجارية مع البصرة لاسيما وان البرتغال كانت منذ أوائل القرن السادس عشر تتمتع بنفوذ^(٣٠) اقتصادي وسياسي في الخليج العربي ويذكر: ((وقد رأيت هناك سفن الوالي الحربية فهي في مأمن عند القلعة المذكورة وبالإمكان سحبها بدون تجديف وتنفرع من ذلك الخندق قنوات عديدة تمتد إلى داخل المدينة وينتقل الناس بالقوارب في هذه القنوات من بيت إلى آخر ويطلقون على هذه القوارب اسم "دانك" وهناك عدد من الجسور للسابلة فوق القنوات))^(٣١). وهذا يبين لنا ان حكومة المدينة كانت تتخذ الإجراءات الاحترازية للدفاع عنها ضد اية هجمات من بلاد فارس.

ويبين أيضاً في الرسالة ذاتها أوضاع المدينة بقوله: ((البصرة مدينة مترامية الأطراف، عامرة بالسكان، رديئة العمران قائمة على ارض مستوية مفتوحة لأنها غير مسورة ولقد أحيطت بسور مؤخراً بسبب الحروب التي شنها الفرس عليها وفي السور أبراج من الطين وقد تهدم بعضها. وللمدينة أبواب ثقيل، وفيها من الأسواق سوق الصياغة وسوق المنسوجات ومختلف البضائع التي تروج في الأسواق))^(٣٢). وهذا يبين لنا ان المدينة تملك مركزاً حضرياً وفيها أسواق مختلفة تحتوي على سلع

متنوعة ولعل ذلك بفضل العلاقات التجارية التي كانت ترتبط بها المدينة عن طريق الخليج مع مختلف الدول فضلا عن ذلك يمكن ان نستنتج ان الحكومة المحلية في المدينة كانت حريصة على توفير الأمن فيها وان الهجمات التي تعرضت لها المدينة من بلاد فارس جعلت حكومتها تقوم ببناء سور حولها وتبقي سفن مسلحة في مياهها. ويذكر أيضاً: ((وتوجد أمام القلعة والسوق ساحة واسعة تنتشر فيها المدافع من العيار الثقيل بعضها برتغالية الأصل كان أهل البصرة قد سيطروا عليها وغنموها في مسقط قبل سنين كثيرة عندما كانت سفنهم تمخر عباب البحر لكن البرتغاليين تمكنوا فيما بعد من تدمير السفن))^(٣٣). وهذا يبين ان السفن التي كان يمتلكها أهالي البصرة ساعدت على تعزيز علاقاتهم التجارية مع بعض الدول المطللة على الخليج العربي، وان للبرتغاليين دوراً في القضاء على بعض القوة البحرية التي كانت تمتلكها المدينة في مرحلة معينة.

ويذكر ان بعض البضائع كانت تبقى معروضة في الأسواق خارج الدكاكين دون ان يخشى عليها أصحابها لان الحكومة كانت تتخذ إجراءات شديدة ضد من يقوم بالسرقة مما يدل ان الحكومة كانت حريصة على توفير الأمن ويبين ذلك بقوله : ((هناك ساحة أخرى في البصرة أمام دار الباشا تعرض فيها الأغنام وتباع فيها الحنطة والرز ومختلف الخضروات وهذه الساحة مفتوحة ليل نهار والبضائع معروضة بدون دكاكين ولا أقفال فلا خوف عليها من اللصوص فالعقاب الذي ينزله الأتراك باللصوص معروف جداً!))^(٣٤). كما يبين ان الحرية الدينية كانت موجودة في المدينة وان الحكومة لا تتدخل في ذلك بوصفها أمراً شخصياً موضحاً ان ((سكان البصرة عرب، وفيها عدد قليل من الأتراك، والعربية هي اللغة الأكثر انتشاراً في المدينة لكن التركية والفارسية مألوفتان فيها أيضاً، أهلها مسلمون سنيون وشيعة فالناس أحرار في عبادتهم))^(٣٥). كما أوضح ان هناك عدداً من الصابئة في البصرة وهم يتمتعون بالحرية الدينية في ممارسة شعائرهم الا انه اعتقد بأنهم من النصارى الكلدانيين

وأوضح ان المدينة يوجد فيها عدد كبير من المسيحيين الأوربيين منهم الكرمليون والاعسطينيون وهذا جعل رجال الدين المسيح يقومون بفتح كنائس لهم في المدينة لا سيما وأنها تتمتع بالحرية الدينية وقد أوضح ذلك بقوله: ((وفي البصرة عدد من النصارى الكلدانيين الذين يطلق عليهم اسم نصارى القديس يوحنا او الصابئة... نظراً لوجود عدد كبير من المسيحيين الأوربيين في المدينة فقد فتح الرهبان الكرمليون مبعثاً لهم فيها وجاء من بعدهم الرهبان الاوغسطينيون البرتغاليون ولكل رهبانية كنيسة خاصة بها تقام فيها الشعائر حسب الطقس الروماني. ان معبد الآباء الكرمليين مشيد بشكل جميل مع دير ملاصق له فيه صوامع الرهبان وغرف لعابري السبيل وقد ابتاعوا قسماً من الأرض بمالهم الخاص والقسم الآخر وهبهم إياه الباشا))^(٣٦).

ويقول: ((كان الباشا يحسن معاملة البرتغاليين وسائر الإفرنج نظراً للمساعدات الجمة التي تلقاها منهم في الحرب ضد الفرس فخصص راتباً شهرياً او مساعدة للكنيستين دامت حتى وقت زيارتي للبصرة كما كان يدفع المبالغ للمراكب الخمسة المستأجرة من البرتغاليين. في اليوم الحادي عشر من آذار ١٦٢٥ وصلنا قبيل منتصف الليل بقليل الى موضع التقاء النهر الداخلي بشط العرب فعند مدخله يساراً تقوم قلعة معتدلة البناء يقابلها مسجد وبالرغم من الليل البهيم فقد طلبنا الدخول في النهر الداخلي "أي الخندق" والتوغل في المدينة لكن تيار الماء القوي صدنا ودفعنا الى جهة المسجد هناك رأينا قائد الأسطول البرتغالي العامل في البصرة مع سفنه الخمسة وله ثلاث سفن أخرى في النهر الكبير "أي شط العرب" وكان الباشا معهم اذ كانوا يتوقعون هجوم الفرس))^(٣٧). وكانت البرتغال تهدف إلى القضاء على اية منافسة تجارية بحرية لتجارتها في الخليج العربي لاسيما وان اتصالها ببلاد الشرق يعود الى زهاء مائة عام قبل ان تدخل انكلترا الى تلك الأصقاع، فكانت لها موانئ عديدة في المناطق الساحلية الواقعة على الطريق التجاري المؤدي الى الخليج العربي والمحيط الهندي. ولولا حصول الانكليز فيما بعد على مساعدة ودعم القوى المعادية للبرتغاليين

مثل الفرس والهولنديين فأنهم من الصعوبة ان يتمكنوا من التفوق على البرتغاليين في القرن السابع عشر^(٣٨). يضاف الى ذلك فأن من العوامل التي ادت الى ضعف النفوذ البرتغالي في الخليج العربي هي خضوع البرتغال للعرش الاسباني في المدة ما بين (١٥٨٠-١٦٤٠) مما ترك أثراً سلبية على ذلك النفوذ فضلاً عن ذلك فقد كان وراء انهيار النفوذ البرتغالي الخارجي، ولاسيما في الخليج العربي، أسباب أخرى أهمها سوء معاملة البرتغاليين لسكان المناطق التي وصلوا إليها وقسوتهم من اجل فرض نفوذهم على تلك المناطق بالقوة، وللخلافات التي كانت سائدة فيما بينهم، فضلاً عن ذلك فأن البرتغاليين لم يؤسسوا شركات تجارية كما فعل منافسوه الانكليز والهولنديين وإنما كانت تجارتهم في الشرق تعد احتكاراً ملكياً اشتهر بسوء الإدارة والتنظيم وأصبحت قواعدهم العسكرية التي كانوا يستندون عليها مهددة بسبب فقدان النظام وفقدان الكفاءة، وكان تفوق الشركات الهولندية والانكليزية في الخليج يمثل انتصاراً لنظام فردي على نظام احتكاري تمارسه الدولة^(٣٩).

وقد لاحظ ديلالفاليه عام ١٦٢٥ هبوط مستوى النظام في كوادر السفن البرتغالية وكثرة حركات التمرد التي كان يقوم بها البحارة البرتغاليون ضد قادتهم الكبار الذين اهتموا بمصالحهم الشخصية بشكل رئيس، وذكر ان البرتغاليين قد يتمكنوا من استعادة ما فقدوه من نفوذ اذا عرفوا كيف يحافظون على مكاسبهم الا ان السياسة التي اتبعوها والأساليب التي طبقوها ضد القوى الإسلامية أفقدتهم تفوقهم التجاري ونفوذهم السياسي في الخليج^(٤٠).

ويذكر أيضاً ديلالفاليه في الرسالة ذاتها بعض المعلومات عن العلاقة بين البصرة والحويزة اخبره بها المعتمد البرتغالي في البصرة عندما التقى به ويذكر: ((في اليوم الرابع عشر من آذار استلمت الدار المعدة لي للسكن فيها وفي ذلك اليوم ذهبت لزيارة السيد كونسالفو مارتينيز دي كاستيل معتمد البرتغاليين في البصرة لأقدم له رسالة التوصية التي أخذتها من نائب ملك غوا، ومن بعض الأصدقاء فأحسن

استقبالي وقدم نفسه لمساعدتي وأوقفني على أخبار مهمة تخص البصرة وبلاد فارس وعن الحويزة. ان منصور اخا مبارك المتوفى بعد ان أقامه الشاه أميراً على الحويزة قبل أعوام ورسخت قدمه فيها لم يعد يظهر تعلقاً بشاه الفرس مع انه أحسن إليه، لأنه يصعب على العرب ان يكونوا محكومين وخاضعين للغير وهم يؤثرون حريتهم على كل شيء آخر ولأجل توطيد هذه الأمنية كان يرسل باشا البصرة التابع للسلطان التركي وعدو الفرس في الوقت نفسه. وكان سيد البصرة آنذاك افراسياب باشا وهو من أهل البصرة، وكان في أول أمره اغا سكماني للمدينة ثم اغتصب الباشاوية بالقوة وكان يطمح بتوطيدها في أسرته، وبالرغم من عده متمردا في نظر الحكومة التركية فإنها تحملته وجاملته وكانت تساعده لأنه كان قديراً في تدبير المدينة وسياستها. من جهة ثانية بالرغم من انه كاد يكون مستقلاً عنها الا انه كان يعترف بها ظاهرياً، ولكي لا تفقد أخيراً خضوعه الاسمي لكي لا يرفع راية العصيان، ولم يكن من السهل معاقبته او عمل شيء لتبديل الأمور في البصرة فهي منطقة نائية عن اسطنبول قريبة من الأعداء، أخيراً كانت كلمته مسموعة في المدينة. فلما وقفت حكومة الفرس على علاقات منصور بالبصرة- خلافاً لما كان أمراء الحويزة الذين كانوا يعادونهم ويشنون الغارات عليها كما انه لم يظهر الاحترام والتعلق بالشاه كما كان يطمح- فحين استعد الشاه في حملته على بغداد دعاه للاشتراك بها مع قبيلته وأمر "امام قلي" خان شيراز ان يمر بالحويزة في مسيرته نحو جبهة القتال ليحث منصور بكل الطرق على المجيء فما كان من الخان إلا تنفيذ أوامر سيده فلما أقترب من الحويزة توقف بضعة ايام بانتظار منصور كي يلتحق به حاثاً إياه على السير بركابه وكان منصور يجاوبه بأنه لا يزال يكمل الاستعدادات الضرورية إلى ان فقد الخان صبره فذهب إلى الحرب دون ان يرافقه منصور ووصل إلى بغداد متأخراً بعد ان كان الشاه قد استولى عليها. أما منصور فلم يتحرك من مكانه على الإطلاق فاستفسر الشاه عن سبب تأخر خان شيراز كل هذه المدة فأجابه انه انتظر منصور ليرافقه عملاً بالأوامر الملكية لكنه

رفض المجيء فلما عاد الشاه إلى أصفهان دعا منصور أكثر من مرة إلى بلاطه فكان يماطل ولم يذهب أبداً فاستشاط الشاه غضباً وكتب إليه يأمره بالمجيء حالاً ويهدده بأنه سيرسل من يقطع رأسه ان امتنع عن المجيء فأجابه منصور قائلاً: ان أراد الشاه قطع رأسي فليفضل بنفسه لأنه مستعد للدفاع جيداً عن رأسي بالسيف! وهكذا رفض الذهاب إلى فارس لا بل أضاف: ان كان الشاه ملكاً على فارس فهو ملك الحويزة ولا يعترف به أبداً. فدعا الشاه حاكم شيراز "إمام قلي خان" وأمر بالتوجه إلى الحويزة على رأس قوة كبيرة مصطحباً محمد بن مبارك الذي كان في فارس وترعرع في حماية الشاه وعليه ان يخلع منصوراً ويقتله وينصب محمداً مكانه))^(٤١).

وذكر ديلالفايه ((ففي الأيام القليلة السابقة لوصولنا إلى البصرة كان "إمام قلي" قد وصل إلى الحويزة مع محمد، وعلم منصور ان قسماً من أكابر قومه ومن عامة شعبه كانوا مع الشاه لتشجيعهم واطهروا استعدادهم لقبول محمد، وخوفاً من وقوعه بيدهم وتوقعه للمصير المحتوم خرج مع خمسمائة من اخلص أتباعه والتجأ إلى منطقة البصرة حيث استقبلهم الوالي علي باشا بن افراسياب الذي تولى أمر المدينة بعد وفاة أبيه. ان هذا الرجل "أي علي" اغتصب بدوره الرئاسة واستعد لها قبيل موت أبيه واستولى عليها بتحريض أصدقائه وأهله وبمساعدة البرتغاليين الموجودين في خدمته. استقبل علي باشا ضيفه منصوراً بترحاب كبير واقطعه أرضاً واسعة في ولايته قريبة من حدود الحويزة ليستقر فيها مع أتباعه. اما شعب الحويزة فإنه قبل محمداً أميراً عليه واطهروا استعدادهم للخضوع للشاه في كل ما يأمر بشرط الا يدخل إلى الحويزة قزلباشي واحد، فوافق الخان على هذا الطلب. جرت هذه الأحداث بعد وصولنا إلى البصرة. فبعد ان ثبت الخان محمداً في الحويزة تقدم في أراضي البصرة، ودخل على طريق يسمى القرنة وفي نيته اقتحام بعض القلاع الحدودية والتوغل في الولاية، لكن الباشا خرج لمقارنته تدعمه ثلاث سفن برتغالية من تلك السفن التي استأجرها منهم. لذا خيم الخوف على البصرة من اقتراب جيوش

الفرس))^(٤٢). ويمكن للمؤرخ ان ينتفع كثيراً من المعلومات السالفة الذكر التي نقلها ديلافاليه عن المعتمد البرتغالي في البصرة ومنها ما يتعلق بالعلاقة بين ال افراسياب في البصرة وبين حاكم الحويزة منصور، وقضية خروج منصور عن الفرس وعدم اعترافه بسلطتهم، فضلا عن ذلك فان الأحداث التي تم ذكرها تسلط الضوء على موقف ال افراسياب في البصرة من منصور وأنصاره وتوفير الحماية لهم لاعتبارات عدة منها العلاقة الجيدة بين الطرفين، وموقفهم الموحد اتجاه الفرس. فضلا عن تمسكهم بالأعراف القبلية التي تحتم عليهم استقبال اللاجئ، لا سيما اذا كان مطارداً من عدو مشترك له ولهم أيضاً، كما نستطيع ان نلاحظ من المعلومات التي ذكرها الرحالة، ان للوجود البرتغالي دوراً مهماً في الأوضاع السياسية في المدينة ومثال ذلك ان علي افراسياب قد استعان بهم في توليه على البصرة بعد موت والده فضلا عن ذلك فأنا سفنهم الموجودة في المدينة قد استخدمت في الدفاع عنها أمام التهديد الفارسي.

كما ذكر ديلافاليه محاولة الشاه الفارسي إخضاع البصرة إلى سيطرته في عهد افراسياب ويقول: ((ان الشاه بعد ان استولى على هرمز ارسل سفيراً إلى باشا البصرة_ وكان آنذاك افراسياب باشا- قائلاً له انه لا يريد من البصرة شيئاً سوى ان تسك النقود بأسمه، وان يذكر اسمه في خطبة الجوامع... عوضاً عن ذكر السلطان العثماني. أي ان يعترف به اسماً. وأخيراً طلب ان يتعمم أهل البصرة على طريقة الفرس. ولقاء ذلك يبقى افراسياب حاكماً مطلقاً على المدينة، يتوارثها أبناؤه من بعده، ولا يتدخل في شؤونه، ويدافع عنه ضد السلطة العثمانية وضد أي تدخل أجنبي، ولا يطلب منه شخصياً ضريبة ما، ولا من أبناء شعبه، بل يترك لهم الحرية التامة. كان افراسياب رجلاً فطناً، يعلم جيداً ما هي أهداف الشاه، فلم يهتم بعروضه، ولم يرد المغامرة بالمنزلة الرفيعة التي وصل إليها لقاء وعود غير أكيدة، فضلا عن ثقته بالعون البرتغالي، اذ لا بد للقوات الفارسية ان تمر بالبحر او بشط العرب اذا صممت على مواجهته، وكانت السفن البرتغالية موجودة في الممرين المذكورين، بينما لم يكن

للفرس قوة بحرية كبيرة قادرة على مجابهة سفن البرتغاليين. لذا رفض عرض الشاه وأمر سفيره بمغادرة المدينة حالاً والخروج من منطقتة دون تأخير، خوفاً من اتصاله سراً ببعض أكابر المدينة الذين قد تكون لهم ميول الى الفرس فيتأثرون به ويؤثرون بدورهم في الشعب. لقد كان رداً حاسماً، وأكد بأنه من أتباع السلطان ويفضل الموت هكذا. وهو مستعد للحرب اذا ما أرادها الشاه^(٤٣). وكانت هرمز قد سقطت بيد القوات الفارسية-الانكليزية عام ١٦٢٢ بعد ان كانت خاضعة للبرتغاليين منذ عام ١٥٠٧، ومن الملاحظ ان الانكليز ساندوا الفرس في هجومهم على هرمز واشتركت سفنهم في مهاجمتها مع السفن الفارسية وذلك لان مصالح التجار الانكليز التقت مع مصالح الفرس ضد البرتغاليين فضلا عن العلاقة التي كان يرتبط بها الشاه عباس مع الانكليز مما جعل الانكليز يساندوه في السيطرة عليها^(٤٤).

وهذا يبين لنا ان شاه بلاد فارس آنذاك عباس "الكبير" (١٥٨٨-١٦٢٩) كانت له أطماع في البصرة وانه حاول فرض سيادته عليها من خلال إخضاع حاكمها افراسياب لنفوذه، الا ان الأخير لم يخضع لذلك وأعلن استعدادة للدفاع عن المدينة، وقد كان يجد في القوات البرتغالية الموجودة في البصرة خير داعم لموقفه ضد الشاه. وعلى ما يبدو فإنه كان متأكداً من ان تلك القوات ستسانده ضد القوات الفارسية اذ ما حاولت التعرض للمدينة ومهاجمتها انطلاقاً من حفاظها على مصالحها التجارية في البصرة فضلا عن العلاقات الجيدة التي تربطهم معه.

وأدى سقوط هرمز بيد الفرس والانكليز عام ١٦٢٢ الى تعزيز العلاقة بين افراسياب والبرتغاليين وتوطدت علاقاتهم التجارية مع البصرة، وكانت الحماية والدعم الذي يقدمه افراسياب إلى البرتغاليين من الأسباب التي جعلت شاه فارس عباس الكبير يمتعض من افراسياب. ومن الجدير بالذكر انه بالرغم من سيطرت القوات الفارسية على بغداد عام ١٦٢٣ وقتل بكر صوباشي الا ان البصرة لم تخضع لتلك القوات^(٤٥).

ثم يبين ديلافاليه الإجراءات التي اتخذها الشاه عباس اتجاه افراسياب من اجل سيطرته على البصرة قائلاً: ((فلما رأى ان هذه الطرق لم تجده نفعاً أمر خان شيراز-وهو اقرب وزرائه إلى تلك المنطقة، وأقواهم-ان يجهز حملة على البصرة، ويستولي عليها بالقوة، فتقدم جيش الخان... وسار في طريق تستر وانحدر الى الحويزة ودخل ولاية البصرة في الأراضي الواقعة على شط العرب إلى الشرق من مجراه، أي جهة فارس. حدث كل ذلك قبل وصولي الى البصرة أي في نهاية سنة ١٦٢٣م ومطلع السنة التالية، ولكنه لم يحاصر البصرة نفسها كما قيل لنا ونحن في "غوا" ولم يقترب منها، بل اكتفى بمحاصرة قلعة على الحدود تدعى "قبان" وكادت ان تسقط بيد الفرس، وبسقوطها تتعرض البصرة للسقوط المؤكد. وكان الفرس يقاتلون بقسوة وقتلوا عدداً كبيراً من أهالي البصرة، لكنهم انسحبوا في آخر الأمر، فقد أمطرتهم مدافع البرتغاليين المثبتة في السفن بوابل من النيران فألحقوا بهم أضراراً جسيمة، فانكسر القزلباش. كما ان مدة الحصار امتدت طويلاً فأنهكت قواهم، فولوا عن المدينة))^(٤٦). وهذا يبين لنا ان الفرس كانوا يسعون إلى السيطرة على البصرة وان البرتغاليين كان لهم دور مهم في صد هجماتهم والدفاع عنها وأنهم ساندوا أهاليها في مواجهة الهجمات الفارسية على المدينة ونجحوا في إحباطها.

وبعد وفاة افراسياب عام ١٦٢٤ خلفه في حكم البصرة ولده علي باشا بعد ان حصل على موافقة الحكومة العثمانية وطلب من الحكومة العثمانية تقديم الدعم لقواته لحمايتها من الفرس. الا ان قيام الفرس بقطع الطرق على المدينة جعل من الصعوبة وصول الدعم الخارجي اليها وكان علي افراسياب وقواته يتوقعون عام ١٦٢٥ ان المدينة سوف تتعرض الى هجوم من قبل الفرس، لأنهم ابلغوا بتحريك القوات الفارسية من الحويزة باتجاه البصرة. وعلى الرغم من قلة قوات علي باشا الا ان البرتغاليين أعاروا إلى علي باشا خمسة سفن مسلحة بعد ان دفع لهم أجرها^(٤٧).

ويواصل ديلافاليه قائلاً: ((في السنة التالية، أي في فترة وصولي الى البصرة كروا على المدينة، وذلك عندما قدموا الى الحويزة لتنصيب محمد بن مبارك أميراً عليها، وخلص

منصور منها. فتوجهوا الى البصرة وتوغلوا في أراضيها، وكان الوالي الجديد علي باشا خارج المدينة وسط عساكره للقتال، تدعّمه ثلاث سفن برتغالية. أما في داخل المدينة فقد عم الخوف لأن عساكر الفرس كانت عظيمة عدة وعدداً، أكثر بكثير من جيش البصرة^(٤٨). ومن ذلك نلاحظ ان التعاون بين البرتغاليين وبين حكام البصرة من ال افراسياب قد استمر حتى بعد موت افراسياب وتعزز ايضاً في عهد ولده الوالي علي افراسياب.

ثم يذكر ديلالفايه انه ((في السادس عشر من آذار وردتنا أخبار تقدم الجيشين الى بعضهما. وفي ذلك اليوم التقيت للمرة الأولى بالسيد دون كونسالفو دي سلفيرا القائد العام للقوات البرتغالية العاملة في البصرة، وقد روى لي ان الفرس يحاولون نقل سبع قطع مدفعية من احد موانئهم الى الدورق، ويقع قرب الحويزة، لاستخدامها في ضرب البصرة، وهذه قضية مهمة ستغير مجرى القتال، لذا قرر إرسال سفينتين من مركب خفيف سريع في محاولة لخطف تلك القطع المدفعية. وفي ١٧ آذار قصدي الخواجة نجم وهو بالطبع مطلع على مجريات الأمور لأنه على علاقة بالباشا، واخبرني ان جيش الفرس يبلغ عدده ثلاثين ألف مقاتل يرأسهم سبعة "خانات" لكنني اشك في قوله، اذ ان خان شيراز وحده مع جيشه كاف لهذه الحرب، ومن المحتمل ان يلتحق به أخوه "الخان داود" لقربه منه، وكذلك "خان لوجستان" فهو في تلك النواحي. اما ان يتحرك خانات المناطق النائية لمحاربة البصرة فهذا أمر مستبعد ولا ضرورة له^(٤٩). ونلاحظ من ذلك ان ديلالفايه لا يكتفي بذكر الأحداث والأخبار التي تصل اليه بل قام بالتعليق عليها موضحاً ان بعضها يعوزه الدقة وهذا يجعلنا ندرك قيمة ودقة كتاباته لأنه حريصاً على نقل الأحداث بعيداً عن المبالغة والزيغ.

((وأضاف الخوارجا نجم بأن جيشاً تركياً جرراً تحرك من الشمال باتجاه بغداد وبلاد فارس، فأستعاد الموصل وكركوك. لكنني لم اصدق هذا الخبر مع يقيني ان هذا الأمر لا بد ان يحدث لكنه سابق لأوانه، اذ ليس من الممكن هذا الزحف السريع واسترجاع الموصل وكركوك بهذه السرعة. ان هذه الأخبار تشاع-باعقادي- لتقوية معنويات الأهالي، وبصورة خاصة شعب البصرة المحاصر. وفي ١٩ آذار قام رجل

من أكابر البصرة اسمه الشيخ عبد السلام فجمع حوله عدداً من أفراد أسرته وأصدقائه وأتباعه وتوجهوا إلى الجبهة لنجدة الباشا، وانطلق معه بعض الصابئة نحو مانتين من طائفتهم يحملون البنادق ومختلف أنواع الأسلحة، لكن هؤلاء جميعاً لا يقارنون بقوة القزلباش واستعدادهم القتالي. وفي ٢٣ آذار عاد إلى البصرة رجل برتغالي كان في معسكر الباشا، فروى كيف ان القزلباشية انسحبوا إلى أراضيهم، وكان انسحابهم سريعاً بحيث أنهم تركوا عدداً كبيراً من الحيوانات أي المواشي، وكمية وفيرة من المؤن. ان هذا الانسحاب السريع، غير المتوقع، لم يكن فراراً أمام جيش الوالي، ولكن لأحد أمرين: فأما ان موقع "هرمز" كان في خطر، ام ان أحداثاً جساماً كانت على وشك الوقوع من طرف العثمانيين، أو من جهة المغول، لأن الفرس سبق ان تحرشوا بهؤلاء^(٥٠).

((في الحادي والثلاثين من آذار عادت إلى البصرة سفينتان برتغاليتان كان القائد العام قد أرسلهما لخطف المدافع الفارسية، لقد عاد البرتغاليون اذ لم يجدوا أثراً للمدافع، لان خبر خروج السفينتين لهذه الغاية بلغ مسامع الفرس فلم يحركوا المدافع عن الميناء. لكن السفن المذكورة وضعت اليد على ثلاثة قوارب فارسية وأسرتهها، وكانت محملة بالبضائع، وفيها رجل غني من ذوي الشأن اخذ كرهينة، فقدم في الحال فدية لخلاصه ألف ريال "ابو طاقة"، لكنهم رفضوا وقتلوا جميع الأسرى... ما أقطع هذه الأعمال! لقد اعتاد البرتغاليون على أفعال كهذه، وقد فعلوا في الهند أعمال فضيحة أكثر منها))^(٥١).

رحلة سبستيانى Sebastiani^(٥٢) :

وفي عام ١٦٦٦ زار الرحالة الأب جوزيبيه سانتا ماريا الكرملى Giuseppe S. Maria المعروف باسم سبستيانى مدينة البصرة وقد ورد عنها في كتاباته قوله: ((هي مدينة كبيرة، لكنها ليست جميلة، وهي غنية بالبضائع التي تردها من بلاد العرب ومن أوروبا وإيران والهند وتكثر فيها الفواكه على أنواعها، والحمضيات بصورة خاصة، ويسكنها شعب من مختلف القوميات والأجناس)) وهذا يعطينا صورة

واضحة عن نشاط المدينة التجاري مع دول ومناطق عدة فضلا عن النسيج الاجتماعي لسكان المدينة وتكيفهم مع بعضهم^(٥٣).

ويذكر عن السلطة التي تحكم المدينة: ((ان حاكم البصرة هو في الواقع ملك مستقل أكثر من باشا عادي خاضع للسلطان. فقد أصبح دست الولاية وراثياً، ولذا فإنه يدير شؤون المنطقة حسب هواه. ونظراً الى ان جيشه لم يكن قوياً عدة وعدداً، كما ان ولايته واقعة بين مملكتين جبارتين اعني العثمانية والفارسية، فلكي يكسب رضا الطرفين وصادقتهما، ولكي يهرع لنجدته أحدهما اذا ما حاربه الطرف الأخر، لذا كان يدفع جزية الى الطرفين، وفي الوقت نفسه كان يجتهد في تعزيز مركزه ويحصن مدينته ويقيم علاقات جيدة مع الإفرنج ليتخلص من "ضغط" المملكتين))^(٥٤).

((وكان الرجل يكن للرهبان احتراماً وحباً، ويتحدث معهم كأصدقاء. وكان تجار البلدة من مسلمين وغرباء يزورون الدير ويطلبون مساعدة الرهبان لتمشية أمورهم عند الوالي، وحدث قبل مدة وجيزة من وصولنا إننا ربحنا دعوى بواسطته ضد الأتراك أنفسهم، فقد شيّدوا مسجداً بالقرب من كنيستنا وعندما فرغوا من بنائه طلبوا هدم الكنيسة، بحجة ان الشريعة تأمر بذلك ولهم مسجد آخر خارج المدينة باسم عيسى ومريم لان المسلمين يكونون احتراماً عظيماً للمسيح ولأمه مريم كما ورد في القرآن))) ويذكر سبستيانى انه غادر البصرة على متن سفينة هولندية كانت متجهة الى سوريات في الهند^(٥٥).

الرحالة كارستن نيبور Carsten Niebuhr^(٥٦):

يعد كارسن نيبور من الرحالة الذين اتسمت كتاباتهم بالدقة عن المناطق التي زاروها ومنها مدينة البصرة. وكان كارستن نيبور قد شارك في بعثة علمية إلى الشرق الأدنى وجنوبي الجزيرة العربية دعي للمشاركة فيها من قبل ملك الدنمارك فرديريك الخامس Frederick V^(٥٧) وكانت تلك البعثة تتألف من خمسة باحثين من جنسيات مختلفة هم: البروفيسور بيتر فرديريك كريستيان فون هافن المتخصص

بالدراسات الاثنولوجية واللغات القديمة رئيساً للبعثة(دنماركي الجنسية)، والدكتور كرستيان كارل كريمر وهو متخصص بالعلوم الطبيعية(دنماركي أيضاً)، والضابط المهندس كارستن نيبور الذي تم تكليفه بإجراء الدراسات الجغرافية والفلكية والرياضية(وهو ألماني الجنسية)، والفنان الهر جورج ويلهلم بورينفند وكان متخصصاً بالرسم الفنية وحفرها على النحاس(ألماني الجنسية أيضاً)، والطبيب البروفيسور بيتر فورسكال وكان متخصصاً بالدراسات النباتية فضلاً عن كونه طبيباً(سويدي الجنسية)، ولكن جميع أعضاء البعثة قد ماتوا^(٥٨) أثناء الرحلة ولم يبق منهم سوى نيبور الذي واصل الرحلة وعاد الى الدنمارك^(٥٩).

تعد رحلة نيبور او كما تسمى "البعثة الدنماركية الى بلاد العرب" من الرحلات الأوروبية المهمة الى البلاد العربية وقد تم ترجمة أجزاء منها^(٦٠) الى اللغة العربية، كونها من أولى البعثات الأوروبية التي تشكلت من مجموعة باحثين متخصصين في مجالات عدة وهدفهم إجراء الدراسات العلمية على المناطق التي قصدوها ومما زاد من أهميتها ان الأساتذة والباحثين في الجامعات والمراكز البحثية الأوروبية كانوا يتواصلون، بالمراسلة، مع أفراد البعثة ويوجهون الأسئلة لأعضائها حول العديد من القضايا العلمية، كما ان أعضاء البعثة قاموا بعملية مسح عام للمناطق التي زاروها وقاموا بذكر أسماء المدن بما فيها المدن الأثرية ومواقعها فضلاً عن رسم الخرائط والمخططات عن تلك المدن مثل صنعاء وبرسيبوليس والبصرة وبغداد والموصل والنجف والقدس ودمشق وغيرها من المدن^(٦١).

انطلقت البعثة من ميناء كوبنهاغن في الدنمارك بحراً في يوم الرابع من كانون الثاني ١٧٦١ ومرت بميناء مرسيلىا ومنه أبحرت الى اسطنبول التي وصلتها في ٣٠ تموز ١٧٦١ وغادرتها في ١١ أيلول من العام نفسه. وفي ٢١ أيلول وصلت إلى جزيرة رودس ومنها توجهت الى الإسكندرية حيث وصلتها في ٢٦ أيلول ١٧٦١ وبقى أعضاء البعثة بمصر حوالي عام كامل اجروا خلالها بعض الدراسات على

الآثار المصرية وطبيعة البلاد، ثم أبحرت من ميناء الإسكندرية إلى ميناء السويس عبر نهر النيل، وفي ٥ تشرين الأول ١٦٦٢ أبحرت من السويس إلى جدة ومنها إلى اليمن. وفي آذار ١٧٦٣ توفى رئيس البعثة، ثم توفى من بعده العالم فورسكال في تموز من العام نفسه، ثم أبحرت البعثة الى الهند وهناك توفى الرسام بورينفند وتبعه فون كريمير في ١٠ شباط ١٧٦٤ وبقي نيبور لوحده^(٦٢).

قرر نيبور الاستمرار ومواصلة الرحلة وتحقيق ولو بعض الأهداف التي من أجلها قامت البعثة. وبقي في الهند حوالي عام وشهرين ثم عاد الى بلاده واثناء طريق العودة مر بمسقط وبميناء بندر عباس(كمبرون)، وشيراز كما زار آثار مدينة برسيبوليس التي غادرها في ٧ نيسان ١٧٦٥ الى بوشهر ووصلها في ٢٨ ايار من العام نفسه وغادرها متوجهاً الى البصرة وسافر على متن سفينة هولندية نقلته الى جزيرة خارج التي وصلها في ٣١ أيار من العام نفسه الا ان السفينة الانكليزية التي كان من المفترض ان يسافر على متنها غادرت سواحل الجزيرة قبيل حوالي ساعة واحدة من وصوله للجزيرة الأمر الذي اضطره الى البقاء في الجزيرة لمدة شهرين، بعدها غادرها على متن سفينة هندية نحو البصرة. وفي أوائل اب ١٧٦٥ وصل نيبور إلى مدينة البصرة^(٦٣).

تذكر نيبور بعد وصوله إلى مدينة البصرة وارتدى الملابس العربية وانتحل اسم (عبد الله) لأنه كان اسم شائع الاستخدام من قبل المسلمين وكذلك المسيحيين وقد أمضى في المدينة قرابة ستة أشهر عاش خلالها كما لو كان عربياً وكان سبب تنكره حسب ما ذكره فيما بعد بسبب الحذر الذي كان يتخذه السكان المحليون وشعورهم بالشك والريبة اتجاه الأجانب ولا سيما الأوربيين منهم وعلى الرغم من عدم قيامه بإرسال الرسائل الى أي شخص خلال تلك المدة ولا حتى الى سفير حكومة الدنمارك لدى الدولة العثمانية فون كاهلر Von Gahler كما كان يفعل، الا انه كان متواصلاً في تدوين مذكراته بكل دقة^(٦٤). وعلى ما يبدو فإن هناك سببا آخر جعل نيبور يتنكر

بعد وصوله للبصرة ولعله كان من اجل الحصول على اكبر قدر من المعلومات من السكان المحليين حول معرفة الكثير من الأشياء عنها وذلك من خلال الاختلاط أكثر بالمجتمع بوصفه احد أبناء المدينة.

وقد اتسمت كتابات الرحالة نيبور بالدقة العلمية للمناطق التي زارها بما فيها آثار مدينتي بابل ونيوى اللتين زارهما. كما تضمنت كتاباته رسوما ومخططات للعديد من المناطق التي زارها فضلا عن قيامه بنقل نسخ طبق الأصل من الكتابات المسمارية التي عثر عليها في بعض المدن الأثرية وكانت تلك النسخ من العوامل التي ساعدت الباحثين في أوربا على حل رموز الخط المسماري فيما بعد^(٦٥).

أحصى نيبور أثناء تجواله في البصرة ما يقارب من (٩٢) قرية وقد ذكرها على الخارطة^(٦٦) التي قام برسمها للمنطقة وكتب أسمائها بالحروف اللاتينية والعربية أيضاً. كما قام برسم خريطة الى مدينة البصرة ذكر عليها (٧٣) محلة^(٦٧). وفي كتاباته ذكر ان هناك (٢٥) صنفاً من التمر كان يزرع في بساتين المدينة. وكان منذ وصوله المدينة قد زار القنصلية الهولندية الموجودة فيها وتسلم منها المبالغ المالية التي كان قد أرسلها إليه من اسطنبول السفير الدنمركي(فون كاهلر)^(٦٨).

وبين نيبور في كتاباته أثناء تناوله تاريخ مدينة البصرة بان والي بغداد حسن باشا قد استطاع ان يسيطر على تمرد العشائر على السلطة العثمانية من خلال تعيينه لولده احمد باشا والياً على البصرة بعد او وافقت الحكومة العثمانية على ذلك وبين ذلك بقوله: ((كان العرب يسببون دائما وأبداً المشكلات للولاية الأتراك الذين يعينون على البصرة، وكان الوالي لا يصمد فيها طويلاً فإما ان يقفل راجعاً الى القسطنطينية على الفور او انه يبقى على مضض ويلقى أنواع المزعجات من سكانها، وقد كان الوالي يتكبد نفقات مالية كثيرة في قضائه على الثورات والتغلب على العقبات، لذا فان كثيراً من الولاة لا يرغبون في الحصول على منصب ولاية البصرة. وقد مكنت هذه الحالة حسن باشا من التوسط لدى السلطان لإسناد منصب ولاية باشلق البصرة لابنه

احمد، فحصل عليها بعد جهد جهيد وبعد ان تعهد للسلطان بدفع مقدار معين من المال كل سنة^(٦٩). وهذا يوضح لنا انه بالرغم من سيطرة حسن باشا على الأوضاع في بغداد الا انه لم يتمكن من السيطرة على الأوضاع في البصرة، وان أهالي المدينة كانوا يعارضون الحكم العثماني وعلى ما يبدو فان تلك المعارضة لم تكن ضعيفة لان الوالي " كان يتكبد نفقات مالية كثيرة" لأجل قضائه عليها وجعلت تلك الانتفاضات المحلية"الولاية لا يرغبون في الحصول على منصب ولاية البصرة.

كما يبين نيبور في كتاباته الأوضاع التي ساعدت على توفر الظروف المناسب إلى سليمان باشا للسيطرة على الحكم في بغداد والذي يعد أول حكام المماليك في العراق مبيناً ان أهالي بغداد كانوا يحترمون سليمان باشا بدافع ولائهم إلى والد زوجته(الوالي احمد باشا) وجدها(الوالي حسن باشا) الذين تمتع الأهالي في ظل حكمهما بالطمأنينة موضحاً ان أوامر الحكومة العثمانية في تولية سليمان باشا على البصرة بعد موت والي بغداد احمد باشا كان بسبب رضا أهالي المدينة عنه ومن الملاحظ انه بعد توليه الحكم في البصرة لم تستقر أوضاع بغداد كما ان ولاية بغداد لم يتمكنوا من فرض أرائهم علي سليمان باشا كونهم كانوا اقل كفاءة منه في الحكم وتعرض بعض منهم إلى هزائم على يد العشائر التي كانت عادة تعارض حكمهم مما جعل الأهالي يسخرون منهم وتتقدم بالشكاوى إلى السلطان العثماني ويقول في ذلك: ((ثم عين سليمان والياً على البصرة لإرضاء السكان الذين كانوا يحبونه، ولكن الولاية الذين جاءوا بغداد وجدوا صعوبات جمة في مزاوله سلطانتهم على هذا الباشلق الخطير وحكمه... وكانت شكاوى الناس وتذمرهم تتلى على السلطان لعدم قدرتهم على ممارسة الحكم والنهوض بأعباء منصب الولاية الخطير))^(٧٠). وهذه الأوضاع مهدت الطريق الى والي البصرة سليمان باشا ليسيطر على الحكم في بغداد وبتلك السيطرة يكون العراق قد خضع للحكم المملوكي واستمر طوال المدة ما بين(١٧٥٠- ١٨٣١) وكان سليمان قد اصبح والياً على البصرة منذ عام ١٧٣٦ وبعد ان اصبح

والياً على بغداد بثلاث سنوات اصدرت الحكومة العثمانية فرماناً عام ١٧٥٣ جعلته بموجبه والياً على البصرة ايضاً فضلاً عن كونه والياً على بغداد وبقي بالحكم حتى وفاته عام ١٧٦٢^(٧١).

الرحالة دومينيكو سيستيني^(٧٢) Domenico Sestini

وزار الرحالة الايطالي دومينيكو سيستيني مدينة البصرة عام ١٧٨١ وكان الرحالة المذكور من الأكاديميين المهتمين بدراسة الآثار والمسكوكات القديمة وبدأ رحلته من ايطاليا الى اسطنبول، ومن اسطنبول إلى سوريا، ثم توجه من سوريا إلى العراق حيث اتجه من شمال العراق حتى جنوبه مروراً بالموصل وبغداد حتى البصرة ومنها عاد إلى بلاده عن طريق العراق وقد الف كتاب عن رحلته باللغة الايطالية عنوانه "رحلة من القسطنطينية الى البصرة سنة ١٧٨١ في دجلة والفرات، والعودة الى القسطنطينية سنة ١٧٨٢ في طريق البادية ثم الاسكندرية للاكاديمي سيستيني" وقد تم طبع الكتاب المذكور للمرة الأولى عام ١٧٨٦ وتم فيما بعد ترجمته إلى اللغة الفرنسية^(٧٣) عام ١٧٩٧. وقد تم ترجمة الكتاب إلى اللغة العربية عن النسخة الفرنسية^(٧٤).

وبين سيستيني في كتاباته ان البصرة كانت تعاني من الإهمال بسبب تعرضها للاحتلال الفارسي ويذكر: ((ان مدينة البصرة حالياً في حالة رديئة، فقد خربها الفرس كلياً، يحيط بها سور مطمور. بيوتها سقيمة ومبعثرة بين النخيل، تمر بها قنوات صغيرة كثيرة فتجهز البيوت والبساتين بالماء)). كما يبين ان المدينة تضم سكاناً من مختلف القوميات والأديان فضلاً عن العرب يوجد الأتراك والأرمن والناطقة واليهود. كما يبين في كتاباته ان للمدينة علاقات تجارية مع الهند ((تأتي إلى هنا سنوياً أربع سفن الى ست من سورات مرسله من بيت جلبي وهم أرمن من مواليد الموصل ، حاملات أقمشة قطنية وأنسجة من إنتاج كوسورات)) ويبين ان أهم البضائع التي كانت تستورد من الهند فضلاً عن الأقمشة والأنسجة هي خشب

الخيزران وخشب الوقود وبعض الأحجار الكريمة. وكانت تلك السفن قبل عودتها الى الهند تُحمَل مرة أخرى بالبضائع التي يتم شراؤها من المدينة وأهمها التمور والملح. ويبين الرحالة ان عملية المقايضة لا تعتمد في المعاملات التجارية بين تجار البصرة والتجار الأجانب بل كانت تستخدم في العادة النقود في تلك العمليات ((من عادة البصرة انها لا تتبادل البضائع بل تدفع نقداً، ولهذا السبب نجد في الهند كمية كبيرة من العملة النمساوية والبندقية والتركية، وهذه الأخيرة اقل من الأولى لان عيارها اخف))^(٧٥).

ويبين الرحالة سيستيني ان مدينة البصرة كانت من مدن الخليج المهمة في تجارة اللؤلؤ ويقول: ((كان كل اللؤلؤ الذي يصطاد في الخليج يتجمع في البصرة قبل حرب الفرس، اما اليوم فقد تحول الى مسقط ومن هناك يحمل إلى الهند والصين)) ويقصد بحرب الفرس الاحتلال الذي تعرضت له البصرة من قبل قوات كريم خان الزند عام ١٧٧٦ والذي استمر حتى عام ١٧٧٩. فضلا عن ذلك فقد أوضح ان بعض تجار مدينة البصرة تضامنوا مع الأهالي أثناء تعرض المدينة للحصار الفارسي قبل احتلالها ومنهم الخواجة يعقوب الذي انفق الكثير من أمواله الخاصة من اجل توفير الطعام إلى قوات حامية المدينة ونسنتج من كتابات الرحالة سيستيني ان الشخص المذكور من مواليد البصرة ((وصرح للقائد قائلاً انه من اجل الدفاع عن البصرة مسقط رأسه فإنه مستعد ان يضحي بكل اللؤلؤ لإطعام الجنود)) وعلى ما يبدو فإنه كان من أصول أوروبية لان لقب(خواجة) كان يطلق من قبل الأهالي على الأوربيين عادة. كما يتبين لنا انه كان من تجار اللؤلؤ المعروفين في المدينة وهذا يدل على تفاني الخواجة يعقوب واستعداده للتضحية بكل ما يملك من أموال لحماية المدينة وهذا يبين لنا الرابطة القوية بين أبناء المدينة بمختلف أصولهم وانتمائهم. ثم يبين الرحالة ان الفرس بعد احتلالهم للبصرة قرروا قتل الخواجة يعقوب الا ان تدخل البريطانيين في قضيته أنقذه من الموت^(٧٦).

وأوضح سيستيني انه كانت هناك علاقات تجارية جيدة بين البصرة وبين بعض المدن في بلاد الشام مثل حلب ودمشق الا ان تعرض المدينة للاحتلال الفارسي ترك آثاره السلبية على تلك العلاقات. ويقول: ((تسير في كل سنة قافلة كبيرة من الجمال لبيع بضائعها في حلب ودمشق، وكانت قبل حرب الفرس تعد أكثر من ستة آلاف رأس، اما اليوم فلا تزيد عن ألفين وهناك الخيول الأصيلة أيضاً فهي ليست نادرة. والمعروف ان نادر شاه اهلك أفضل سلالات الخيول عند هجومه على كردستان))^(٧٧).

ويذكر سيستيني ان الآثار التي تركها الاحتلال الفارسي على المدينة كانت واضحة ويقول: ((الفرس دمروا كل الكروم ، كما انهم اقتلعوا شجيرات الورد التي كانت تستقطر فتنج ماء الورد الذي له سوق رائع))^(٧٨). وهذا يبين لنا بوضوح العواقب التي تركها الاحتلال الفارسي على المدينة في المدة (١٧٧٦-١٧٧٩) وأثاره السلبية على مختلف النشاطات الاقتصادية.

كما يوضح سيستيني ان بعض الدول الأوروبية لها مصالح اقتصادية في البصرة فقد كان التجار البريطانيون يتاجرون بالأقمشة في البصرة وكانت هناك شركة بريطانية تتولى ذلك الا ان تعرض سفنها للسلب فضلا عن الإجراءات المعقدة مع البريطانيين التي كانت تتخذها الحكومة الفارسية بعد احتلال البصرة، أدى إلى خسارة تلك الشركة ويقول: ((قبل سنوات استولى العرب سكان الجزائر القريبة من القرنة على أربعة مراكب عائدة لهذه الشركة كما ان الوصي الفارسي كريم خان أثار بعض المشاكل مع الانكليز وفي زمن القلاقل والفتن خسرت الشركة سنوياً أربعين ألف جنيه إسترليني)) ثم يتطرق إلى دور مدينة البصرة في التجارة بين الهند وبين دول أوروبا ويقول: ((ان تجار البنغال يرسلون أموالهم إلى البصرة أكانت نقداً ام الأقمشة الموسلين ومن هنا ترسل هذه الأقمشة إلى أرجاء أوروبا... وللفرنسيين قنصل في البصرة، ولكن التجارة الفرنسية غير واسعة وتقتصر على بعض الأقمشة التي توردها من حلب عبر البادية. أما أعمال الهولنديين فتشمل: السكر والقهوة والتوابل))^(٧٩).

الفصل الثالث

كتابات أهم الرحالة الأوربيين عن البصرة في القرن التاسع عشر

ويذكر الرحالة بكنغهام الذي زار مدينة البصرة عام ١٨١٦ ان القوة البحرية لمدينة البصرة كانت ضعيفة وكانت تتألف من عشرين سفينة مسلحة بشكل جيد في عهد الوالي سليمان باشا الملقب بـ"الكبير" (١٧٨٠-١٨٠٢) وكانت تلك السفن تقوم بأعمال الملاحة في الخليج العربي الا أنها تقلصت حتى وصلت آنذاك-عام ١٨١٦- الى خمس او ست سفن قديمة لا تصلح للملاحة. ومن الملاحظ من كتابات بعض الرحالة في القرن التاسع عشر نجد أنهم يشيرون الى تنازل القوة البحرية للمدينة ويذكر الرحالة هيود Heude.W. ((ان حاكم البصرة يملك في عام ١٨١٧ فقط ألف جندي لحماية النظام ضمن أسوار المدينة))

ووصف بعض الرحالة السور الذي كان يحيط بالمدينة فقد ذكر الرحالة بكنغهام عام ١٨١٦ ان هناك خمسة أبواب في سور المدينة وهي: باب الرباط، وباب الزبير، وباب بغداد، وباب مجموعة، وباب السراجي. وبقيت تلك الأبواب في سور المدينة حتى مطلع القرن العشرين. وحول عدد سكان مدينة البصرة ذكر بكنغهام ان عدد نفوس البصرة ربما وصل الى نصف مليون نسمة في منتصف القرن الثامن عشر لكن هذا انخفض الى اكثر من النصف بسبب موت ثلاثمائة الف نسمة من السكان اثر الطاعون الذي انتشر في المدينة عام ١٧٧٣. وعلى ما يبدو فان الأرقام المذكورة مبالغ فيها والدليل على ذلك ان بعض إحصائيات القنصلية البريطانية في بغداد، قدرت سكان العراق في منتصف القرن التاسع عشر بمليون ومائتين وخمسين الف نسمة، وان عدد البدو منهم خمسمائة الف نسمة، وبقية السكان في المدن والأرياف لذلك من المرجح ان يكون عدد سكان البصرة الذي ذكره بكنغهام مبالغ فيه^(٨٠).

وعلى الرغم من الاختلاف في تقدير عدد سكان المدينة بين الرحالة الا ان كتاباتهم أوضحت الآثار التي تركها الطاعون على نسبة عدد السكان ويستنتج من ذلك ان فقدان المدينة هذا العدد الكبير الذي قد يصل الى ثلث سكانها قد ترك آثاراً كبيرة على مختلف الأنشطة فيها ناهيك عن الآثار الاجتماعية والاقتصادية التي ترتبت على ذلك.

رحلة المدام ديولافوا^(٨١) عام ١٨٨١:

وعندما زارت الرحالة مدام ديولافوا. البصرة في أيلول ١٨٨١ لاحظت بشكل واضح عدم اهتمام الحكومة العثمانية بإجراء اية إصلاحات مهمة في المدينة، فضلا عن إهمالها للجانب الصحي، مما ساعد على انتشار الأمراض بين الأهالي لاسيما في ظل الظروف الطبيعية الموجودة. وتذكر حول ذلك: ((فساد الهواء الذي يتسبب عن حالتي المد والجزر وارتفاع درجة الحرارة وزيادة نسبة الرطوبة كل ذلك يعمل على انتشار أمراض خطيرة في هذه المدينة يذهب ضحاياها عدد عظيم من أهلها. وهناك سبب اخر لانتشار هذه الأوبئة وهو عدم اهتمام السلطات التركية بصحة السكان والعناية بهم... فالسدود التي أنشئت منذ ستين سنة أمام هذه المدينة قد تهدمت اليوم الواحد بعد الآخر ولم يجشم احد نفسه ترميم هذه السدود المهدمة التي اخترقتها المياه وغمرت أراضي واسعة كوَّنت منها أهوار ومستنقعات تتوَلَّد عنها الأمراض الخطيرة. وإذا سألت احد الموظفين الترك عن علّة سكوتهم عن هذا الأمر أجابك بقوله: ليس هذا بمهم والله كريم))^(٨٢). ولعل ذلك يبين لنا بوضوح الإهمال الذي كانت تعانيه المدينة في تلك المدة من تاريخها لاسيما وان الدولة العثمانية آنذاك كانت تعاني من مشاكل سياسية واقتصادية عدة انعكس أثرها على الأوضاع العامة في ولاياتها.

ثم تتطرق مدام ديولافوا إلى أهالي المدينة فتقول: ((في هذه المدينة الموبوءة طبقات مختلفة متفاوتة كما فيها أنماط شتى من الأهالي كل له خصائصه المميّزة من حيث طرز اللباس والمعتقدات)) ثم تصف بدقة الأزياء التي تلبسها النساء وكذلك أزياء الرجال الموجودين في مدينة البصرة موضحة أزياء النساء التركيات والعربيات

والأرمنييات من ملابس وحلي كما تبين الأماكن التي صنعت فيها بعض تلك الملابس موضحة ان أهالي المدينة كانوا يعتزون بزيتهم العربي موضحة ان اغلب السكان الأصليين كانوا يعتزون بلبس الكوفية والعقال والعباءة ويفضلونها على لبس السترة والبنطلون وهو الزي الذي يرتديه معظم الأوربيين الموجودين في المدينة^(٨٣). ومن وصفها نلاحظ ان السكان بمختلف قومياتهم وأديانهم ومذاهبهم يعيشون بالمدينة بحرية وانسجام ويمارسون حرياتهم الدينية وعاداتهم وتقاليدهم دون أي قيود على ذلك لا من قبل الأهالي ولا من الحكومة العثمانية وتبين: ((ان البصرة تكاد تكون مجمع المذاهب المختلفة التي يقارب عددها عدد ما فيها من أنواع النخيل! انك تجد النساطرة فيها والسنة والشيعية والبابية والوهابية والمسيحية الرومية والمسيحية الكلدية والصابئة واليزيدية واليهود والأرمن وغيرهم كل بجانب الأخر وقلما يحدث نزاع بين أنصار هذه الطوائف التي تمارس كل منها شعائرها المذهبية الخاصة بمطلق الحرية والاطمئنان))

ثم تطرقت المدام ديولافوا إلى الأوضاع العامة في المدينة وأوضحت بأنها علمت من طبيب القنصلية الفرنسية في المدينة ان الحقول الموجودة في أرياف المدينة كانت تصدر فائض إنتاجها من الحنطة الى الهند، فضلا عن ذلك فان إنتاج المدينة من التمر كان آلاف الأطنان سنوياً وأن معظمه يصدر الى الخارج مبينة الفوائد التي يحصل عليها السكان من أشجار النخيل ففضلا عن ثمارها فأنهم ينتفعون من جذوعها وسعفها في صناعات الحصر والحبال^(٨٤).

وتطرقت الرحالة الى طريق المواصلات النهرية بين البصرة وبغداد موضحة انه عندما قررت في كانون الاول ١٨٨١ العودة الى بغداد بالنقل النهري تم إبلاغها ان شركتين للنقل النهري تعملان بتسيير السفن البخارية في الطريق المذكور الأولى "شركة لنج لندن" التي تسيير سفينة كل أسبوع الا أنها غير نظيفة لان إدارة الشركة تسمح للمسافرين بالطبخ والغسل في داخل السفينة، أما الشركة الثانية فهي تدار من قبل العثمانيين وتسيير شهرياً سفينتين بين بغداد والبصرة وأوضحت الرحالة انها بعد

سفرها على متن سفن الشركة الثانية الى بغداد عانت كثيراً من الإجراءات التي كانت تتخذها إدارة السفينة تجاه ركاب طوال فمدة الرحلة وتذكر ان إدارة السفينة كانت تتقاضى مبالغ مختلفة من المسافرين بحجج وأسباب واهية ولم تكتم بذلك بل أنها كانت تلجأ إلى شتى الأساليب من اجل ابتزاز الأموال من الركاب^(٨٥). ولعل ذلك يبين لنا بوضوح معلومات مهمة عن بعض الأسباب التي أدت الى إخفاق عملية النقل النهري بين بغداد والبصرة في السنوات التي أعقبت تلك الأحداث. وتبين المدام ديولافوا ان المسؤولين عن إدارة السفينة ((شغلت ممرات السفينة بأقفاص الدجاج التي اشتروها من البصرة لبيعها في بغداد بربح زهيد... كما ان الموظفين الترك المغرورين شغلوا مخازن السفينة بأمعتهم وحوائجهم كلها، لدرجة أنهم لم يدعوا لمن سواهم مكاناً يضعون فيه حقائبهم))^(٨٦).

الخاتمة :

من خلال دراستنا لكتابات الرحالة الأوربيين الذين زاروا مدينة البصرة وأهميتها في تدوين تاريخ تلك المدينة تم التوصل الى ما يلي:

- ١- ذكر الرحالة الأوربيون الذين زاروا مدينة البصرة، في كتاباتهم، معلومات مهمة عن مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وفي مراحل مختلفة من تاريخها وتلك المعلومات تعد مادة جيدة للمؤرخ والباحث الذي يدون تاريخ تلك المدينة.
- ٢- استطاع الرحالة الأوربيون ان يعتمدوا في كتاباتهم عن تاريخ المدينة أثناء زيارتها على أنفسهم في معظم الحالات وعاصروا معظم الظروف التي كانت تمر بها المدينة أثناء مدة زيارتهم لها لذلك تعد كتاباتهم مادة تاريخية مهمة حول تدوين تاريخ المدينة كونهم شهود عيان على معظم الأحداث التي كتبوا عنها.
- ٣- يتفق معظم الرحالة الأوربيين الذين زاروا مدينة البصرة على بعض القضايا الرئيسية ومنها الأخلاق الحسنة لأهالي المدينة وكرمهم وحسن سلوكهم. كما يتفق على ان البصرة مدينة كان سكانها ينتمون إلى أديان ومذاهب وقوميات وجنسيات مختلفة

على الرغم من غلبة عدد العرب المسلمين على باقي السكان. وان جميع سكان المدينة على الرغم من الاختلافات القومية والعرقية بينهم فأنهم يعيشون معاً دون مشاكل حول انتمائهم ومعتقداتهم القومية والدينية والعرقية، وهذا يدل على ان معظم أهالي المدينة يتمتعون بالحرية الدينية والفكرية.

٤- سلطت كتابات الرحالة الأوربيين الضوء على أهم القوى السياسية التي كانت تؤثر على الأوضاع السياسية في المدينة ومنها القوى الداخلية المتمثلة بسكان المدينة والسلطة العثمانية فيها، والقوى الخارجية المتمثلة بنفوذ بعض القوى الأوربية الكبرى مثل البرتغاليين والبريطانيين والفرس.

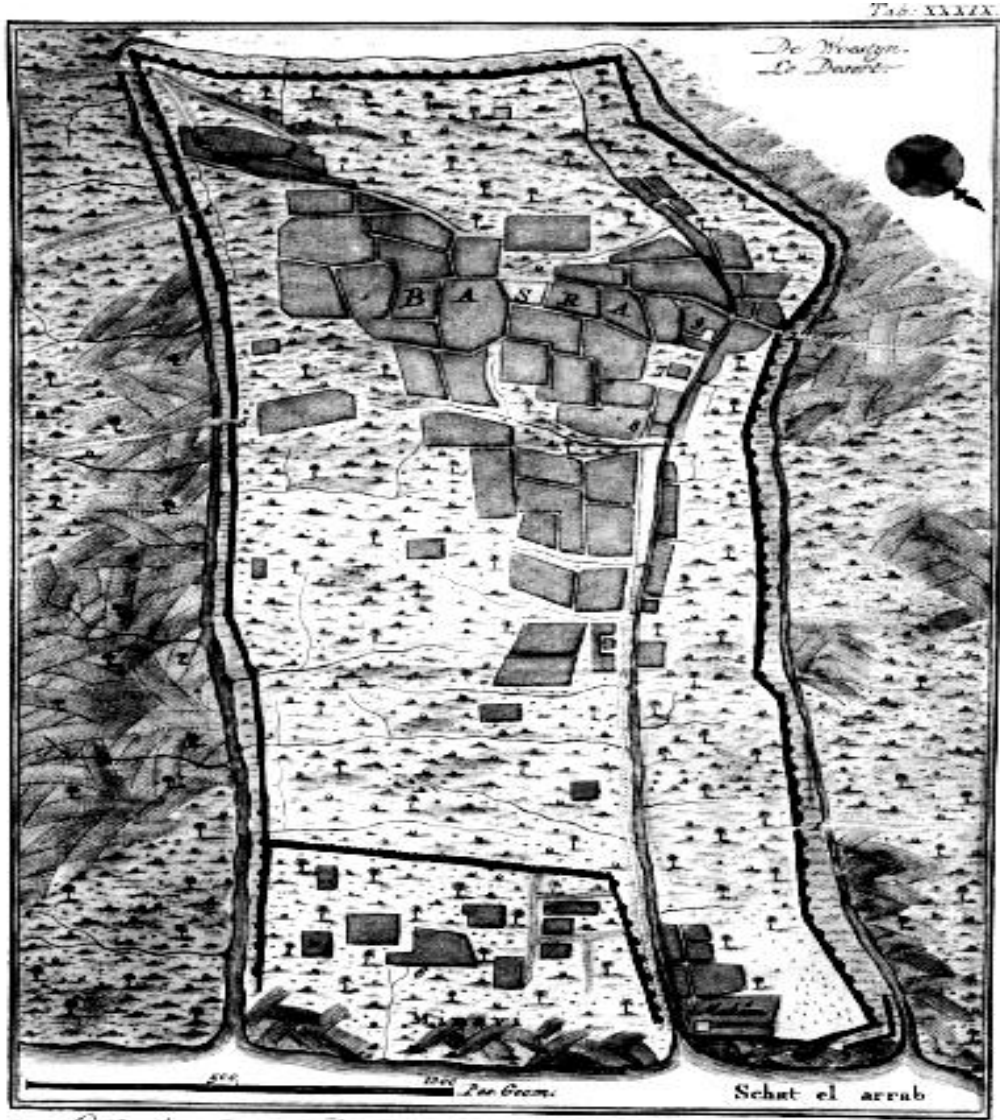
٥- أوضحت كتابات الرحالة الأوربيين التحديات التي كانت تواجهها المدينة من قبل حكام بلاد فارس والمتمثلة بمحاولاتهم المتكررة من اجل فرض نفوذهم عليها والعوامل التي كانت تكمن وراء ذلك. كما أوضحت الاستجابة التي كان أهالي المدينة يواجهون بها تلك التحديات، مع توضيح الدور الذي مارسته الحكومة العثمانية وبعض القوى المساندة لها للوقوف بوجه تلك التحديات.

٦- أوضحت كتابات الرحالة الأهمية الإستراتيجية التي كانت تتمتع بها المدينة من حيث موقعها المتميز كونها من المدن المهمة الواقعة على أهم الطرق التجارية بين الشرق والغرب. فضلا عن أهمية ذلك الموقع بالنسبة الى دول الخليج وبلاد فارس. ومحاولة بعض القوى الأوربية وغير الأوربية إيجاد نفوذ لهم فيها.

٧- بينت كتابات الرحالة الأوربيين الأهمية التجارية التي كانت تتمتع بها المدينة حتى أنها كانت ولسنوات عدة من أهم مدن الخليج العربي في تجارة اللؤلؤ فضلا عن إنتاجها من التمور والحبوب، وكانت ترتبط بعلاقات تجارية مع عدة دول.

ملحق رقم (١)

خارطة البصرة التي رسمها الرحالة كارستن نيبور أثناء زيارته للمدينة عام ١٧٦٥ (١)



(niebuhr.htm

(١) نقلاً عن: عبد الحسين، المصدر السابق، ص ص ٣٢٩-٣٣٠.

ت	الاسم بالعربية	الاسم بالألمانية	ت	الاسم بالعربية	الاسم بالألمانية
١-	المناخ	Menach	٣٨-	حوش الباشا	Hausch el Pasha
٢-	المشراق	Mischark	٣٩-	جسر الغربان	Dsjusser el Gurban
٣-	دناتيك	Denanik	٤٠-	المجموعة	Medsjemoa
٤-	ابن عيد	Iben Aid	٤١-	مقبره	Mogaber
٥-	عباية	Abaieh	٤٢-	صمغونية	Samgonie
٦-	ميدان العبيد	Meidan al Abid	٤٣-	محمد جواد	Mohammad Dshoad
٧-	الدوغ	Doagh	٤٤-	عروه	Arroa
٨-	ام البلايل	Om el Bellabil	٤٥-	غمقه	Samka
٩-	ام البزازين	Om el Bissasin	٤٦-	بحارنه	Baharna
١٠-	شيخ بادي	Schech Badi	٤٧-	جسر العبيد	Dsjusser el Abid
١١-	شيخ قنبر	Schech Kumber	٤٨-	بلد السائيس	Belled Essias
١٢-	شيخ جوهر	Schech Dsjohar	٤٩-	الدوغ	Doagh
١٣-	ام الطنوق	Om el Ettonuk	٥٠-	حلل	Holal
١٤-	قبله	Kable	٥١-	المقام	Mokam
١٥-	شيخ عمر	Schech Omer	٥٢-	محلة الجديدة	Mehallet el Dsjedide
١٦-	مدبغة	Medbuge	٥٣-	نظران	Naduran
١٧-	نهر البنات	Naher el Beinad	٥٤-	الصبخة	Sabcha
١٨-	شيخ حبيب	Schech Habib	٥٥-	معصرة	Maasra
١٩-	جسر اللوح	Dsjuss ellauh	٥٦-	الخضر	El Dhodder
٢٠-	مكول	Megkul	٥٧-	الحداده	Hadade
٢١-	المعدان	Maadan	٥٨-	الخليبية	Chalilie
٢٢-	محمد تخنه	Mohammad Tachate	٥٩-	الشربيتية	Scherbatie
٢٣-	حمام كوت	Hammam Kud	٦٠-	محلة اليهود	Mehallet el Ihud

Hasirtchie	حصرجية	-٦١	Mehallet el Kadi	محلة القاضي	-٢٤
Seimer	الصيبر	-٦٢	Mehallet el Arsa	محلة العرضة	-٢٥
Fatale	قتاله	-٦٣	Said Rammadan	محلة سيدرمضان	-٢٦
Dsjusser el Haus	جسر الحوز	-٦٤	Mehallet Afghan	محلة الافغان	-٢٧
Chaschabe	خشابة	-٦٥	Hakaka	حكاكه	-٢٨
Mehallet Essai	محلة الساعي	-٦٦	Mehallet Murdsjana	محلة مرجانة	-٢٩
Menau	مناوي	-٦٧	Hassan Dada	حسن داده	-٣٠
Brahe	بريهة	-٦٨	Kauas	الكواز	-٣١
Abbas	عباس	-٦٩	Bustan Kasab	بستان قصب	-٣٢
Firsi	فرسي	-٧٠	Kauarchin	كوارعين	-٣٣
Choddrauie	الخضراوية	-٧١	As Eddin	عز الدين	-٣٤
Kud el Kummerli	كوت الكرمللي	-٧٢	Gnan Zikkar	خان زكار	-٣٥
Medsjossasa	محصصة	-٧٣	El Kotana	القطانة	-٣٦
			El sif	السيف	-٣٧

الهوامش

١. فوزي، الاستشراق والتاريخ الإسلامي "القرن الإسلامي الأولى"، ط١، بيروت، ١٩٩٨، ص ص ٣٠-٣١.
٢. ان أول من دعا الى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية هو الأب بطرس المبجل رئيس دير كلاني، وكان بطرس قد سافر في عام ١١٤١ الى اسبانيا بهدف الإشراف على أتباع طائفته والتوسط لإحلال السلم بين الفونسو الثاني ملك قشتالة والفونسو الأول، وأثناء تواجده في اسبانيا قرر القيام بإجراء دراسة للفكر الإسلامي محاولة منه لمجابهة هذا الفكر ودحضه فكرياً. والتقى هناك بالراهب الانكليزي روبرت والراهب هيرمان الدالماتي وكانا ملمين باللغة العربية ولهما اهتمام بدراسة بعض المؤلفات العربية في علم الفلك، واتفق معهما على ترجمة القرن الكريم مقابل مبلغ من المال. وقد تمت الترجمة عام ١١٤٣، وبحسب ما جاء بمقدمة تلك الترجمة ان روبرت مسؤول عن ترجمة القرآن. في حين قام الآخر بترجمة النبذة المختصرة. انظر: فون، يوهان، تاريخ حركة الاستشراق "الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين"، ترجمة عمر لطفي العالم، ط١، بيروت، ٢٠٠٠، ص١٧.
٣. فوزي، المصدر السابق، ص ص ٣٢-٣٣.
٤. المصدر نفسه، ص ص ٣٤-٣٥.
٥. المصدر نفسه، ص ص ٣٦-٣٧.
٦. شركة الهند الشرقية الانكليزية English East India Company : شركة انكليزية أسست في انكلترا بموجب المرسوم الذي اصدرته الملكة اليزابيث الأولى في ٣١ كانون الاول ١٦٠٠ والذي منحت بموجبه الحق لعدد من التجار المتاجرة مع بعض المناطق في الشرق ولاسيما مع الهند وجنوب شرق اسيا والخليج العربي، مارست الشركة دوراً فعالاً لخدمة المصالح الامبريالية في الهند منذ القرن الثامن عشر وكان لها دور كبير في توسيع النفوذ البريطاني في الصين أيضاً. للمزيد من التفاصيل انظر:

- The New Encyclopedia Britannica, Chicago, 1974, Vol.III, P.762.
٧. للمزيد من التفاصيل عن التنافس الأوربي في الخليج العربي انظر: العابد، فؤاد سعيد، سياسة بريطانيا في الخليج العربي "خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، ط١، الكويت، ١٩٨١، ص ص ٢١-٣٠.
٨. باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة (الوجيز في تاريخ حضارة وادي الرافدين)، ط٤، بغداد، ١٩٨٦، ص ١١٥.
٩. اندريه ميتشو André Michaux (١٧٤٦-١٨٠٢): عالم نبات ومستشرق فرنسي ولد في ساتوري Satory بفرنسا. سافر في المدة ما بين (١٧٧٩-١٧٨١) إلى انكلترا ومن ثم إلى إسبانيا لدراسة النباتات ثم عاد إلى بلاده ومنها أرسل سكرتيراً للقنصل الفرنسي في بلاد فارس عام ١٧٨٢ وقام هناك بإجراء العديد من الأبحاث على النباتات تمكن من الحصول على حجر حدود boundary stone يعود تاريخه إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد. وحفظ في احد المتاحف الفرنسية عام ١٨٠٠. للمزيد من التفاصيل انظر:
- The New Encyclopedia Britannica, Vol.VI, P.859.
١٠. باقر، المصدر السابق، ص ١١٨.
١١. كلوديوس جيمس ريتش Claudius James Rich (١٧٨٧-١٨٢٠): سياسي ومستشرق بريطاني تولى منصب المعتمد البريطاني العام في بغداد فضلاً عن كونه مندوب لشركة الهند الشرقية البريطانية في بغداد، وقام بإجراء التنقيب في العديد من المدن الأثرية في العراق ومنها مدينة بابل الأثرية. كان يجيد العديد من اللغات فضلاً عن الإنكليزية منها: السريانية والعربية والعبرية والفارسية واللاتينية اليونانية. معظم أعماله والقطع التي حصل عليها موجودة حالياً في المتحف البريطاني بانكلترا. للمزيد من التفاصيل انظر:
- The New Encyclopedia Britannica, Vol.VIII, PP.565-566.
١٢. باقر، المصدر السابق، ص ١١٨.

١٣. باول اميل بوتّا Paul-E'mile Botta (١٨٠٢-١٨٧٠): قنصل وعالم اثار فرنسي. درس الطب في فرنسا وعين قنصلاً لبلاده في الموصل عام ١٨٤٢ اجرى العديد من عمليات التنقيب في عدة مواقع اثرية في الموصل والمناطق القريبة منها واكتشف قصر الملك الاشوري سرجون الثاني عام ١٨٤٣. للمزيد من التفاصيل انظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol.VII,PP.183-184.

١٤. السير اوستن هنري لايرد Sir Austen Henry Layard (١٨١٧-١٨٩٤): عالم آثار بريطاني ترك عمله في القانون بلندن عام ١٨٣٩ وذهب برحلة الى الأناضول وسوريا. وفي عام ١٨٤٢ استخدمه السفير البريطاني في اسطنبول السير ستراتفورد كانغ Stratford Canning لأداء بعض المهام الدبلوماسية غير الرسمية بالقرب من الموصل وهناك ازداد اهتمامه في التنقيب في بقايا الاثار لبعض المدن القديمة وتمكن من العثور على العديد من القطع الاثرية التي تعود للحضارة البابلية والحضارة الاشورية. ثم عاد الى بلاده وخدم في البرلمان البريطاني في الفترة (١٨٥٢-١٨٥٧) و(١٨٦٠-١٨٦٩). ووكيلاً بوزارة الخارجية (١٨٦١-١٨٦٦)، وسفيراً في اسطنبول (١٨٧٧-١٨٨٠). للمزيد من التفاصيل انظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol.VI, PP.94-95.

١٥. السير هنري كروسويك رونلسون Sir Henry Creswicke Rawlinson (١٨١٠-١٨٩٥): ضابط بريطاني ومستشرق ساهمت أعماله في حل رموز الكتابات القديمة، عمل في خدمة شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند عام ١٨٢٧ ثم أرسل عام ١٧٣٣ إلى بلاد فارس لتنظيم الجيش الفارسي وهناك بدأ اهتمامه بالكتابات القديمة. أصبح قنصلاً لبلاده في بغداد عام ١٨٥١. قام بالتنقيب في بقايا المدن الأشورية في شمال العراق وألف بعض الكتب المختصة بالأشوريات. وكان للأبحاث التي أجراها على أنواع الخط القديم أثر كبير في حل رموز الخط المسماري. للمزيد من التفاصيل انظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol.VIII, P.437.

١٦. باقر، المصدر السابق، ص ١١٨، ص ١٢٠.

١٧. بيدرو تخسيرا، تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدرو تخسيرا، ترجمة عيسى أمين، ط١، البحرين، ١٩٩٦، ص ص ٧٦-٧٩.

١٨. لوريمر، ج.ج.، دليل الخليج "القسم التاريخي"، ترجمة قسم الترجمة بمكتب امير دولة قطر، ط١، قطر، (د.ت.)، ج٤، ص ١٧٥٦.
١٩. بيدرو تخسيرا، المصدر السابق، ص ص ٧٦-٧٧؛ لوريمر، المصدر السابق، ص ص ١٧٥٦-١٧٥٧.
٢٠. بيدرو تخسيرا، المصدر السابق، ص ص ٧٦-٧٧.
٢١. المصدر نفسه، ص ص ٧٦-٧٧.
٢٢. ديلافاليه، رحلة ديلافاليه الى العراق مطلع القرن السابع عشر، ترجمة بطرس حداد، ط١، بيروت، ٢٠٠٦، ص ص ٨-٩.
٢٣. باقر، المصدر السابق، ص ١١٦.
٢٤. ديلافاليه، المصدر السابق، ص ١١، ص ١٥.
٢٥. فراسياب: حكم افراسياب البصرة في المدة ما بين (١٦١٢-١٦٢٤) وتمكن من الوصول للحكم بعد استغلال الأوضاع في المدينة، ولاسيما ضعف الدولة العثمانية وانتفاضة الأهالي على حكومتها، وتمكن من الدفاع عنها ضد الفرس، واقام علاقات جيدة مع البرتغاليين وبعد وفاته خلفه ولده علي باشا وحكم البصرة في الفترة ما بين (١٦٢٤-١٦٥٠) وكان الأخير له دور فعال في دعم والده بحكم المدينة وإدارة شؤونها وحصل على اعتراف العثمانيين بحكمه ونال تكريمهم لصدده هجمات الفرس على البصرة. وخلفه في الحكم ولده حسين (١٦٥٠-١٦٥٤) ولكن سياسته اثارت عليه بعض أقربائه وكذلك والي بغداد مرتضى باشا فجهز حملة للسيطرة على البصرة وعندما اقتربت من المدينة فر حسين باشا الى الاحواز وتم تعيين احمد باشا وهو من ابناء افراسياب والياً على المدينة الا انه كان خاضعاً بشكل تام الى والي بغداد الا ان انتفاضة عشائر المدينة واعدام واليها ساعدت حسين افراسياب باستعادة منصبه وخرجت القوات العثمانية منها واعلن حسين افراسياب خضوعه الاسمي للسلطان الا ان سوء سياسته ومهاجمة قواته للإحساء في الفترة (١٦٦٣-١٦٦٤) جعل السلطان العثماني يأمر بإقصائه عن الحكم ووجه حملة على البصرة بقيادة والي بغداد ابراهيم "الطويل" عام ١٦٦٥ وبعد محاصرتها للمدينة تم الاتفاق مع حسين افراسياب على ان يتنازل عن الحكم لولده الأصغر افراسياب وان يعتذر للسلطان وان يعن الحاكم الجديد

خضوعه للعثمانيين وتم ذلك. الا ان أطماع حسين جعلت السلطان العثماني يوجه حملة على البصرة عام ١٦٦٧ بقيادة والي بغداد آنذاك قره مصطفى ووصلت القوات المذكورة اطراف البصرة وأواخر عام ١٦٦٨ وفر حسين الى الحويزة وبذلك انتهى حكم ال افراسياب في البصرة. للمزيد من التفاصيل انظر: لونكريك، ستيفن هيمسلي، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، ط٦، بغداد، ١٩٨٥، ص ص ١٢٦-١٤٧.

٢٦. جين- بابتيسستا تافيرنيه Jean-Baptiste Tavernier : رحالة فرنسي زار العراق عام ١٦٣٨ وألف كتاب باللغة الفرنسية عن رحلته. عنوانه "الرحلات الست في تركيا واسيا" وقد تم ترجمته إلى الانكليزية عام ١٦٧٨ . الكتاب الثاني في رحلته سنة ١٦٦٣، ١٦٤٤، ١٦٣٨. المصدر نفسه، ص ٣٩٨.

The New Encyclopedia Britannica, Vol.7, P.969.

٢٧. المصدر نفسه، ص ١٢٧.

٢٨. يعود تاريخ التواجد البرتغالي في الخليج العربي الى عام ١٥٠٧ عندما قامت

حملة بحرية برتغالية تتكون من ستة عشر سفينة بقيادة الفونسو دي البوكيرك fonso de Albuquerque (١٤٥٣-١٥١٥) بمهاجمة هرمز والسيطرة عليها كونها تعد أقوى تنظيم سياسي واقتصادي عرفته المنطقة فضلاً عن موقعها الاستراتيجي كمنفذ للخليج. قاسم، جمال زكريا، الخليج العربي "دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوربي الأول ١٥٠٧-١٨٤٠"، ط١، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٢.

٢٩. ديلالفايه، المصدر السابق، ص ١١٧.

٣٠. للمزيد من التفاصيل عن النفوذ البرتغالي في الخليج العربي والبحر الأحمر في

القرن السادس عشر وموقف الدولة العثمانية منه انظر: شهاب، حسن صالح، البحرية العثمانية ومهمة التصدي للمخطط البرتغالي في البحر الأحمر والخليج العربي، بحث منشور في كتاب: ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية ١٩-٢١ نوفمبر ١٩٨٨ (الصلاة التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية)، ط١، الامارات "رأس الخيمة"، ٢٠٠١، ص ص ٨١-٩٢.

٣١. ديلالفايه، المصدر السابق، ص ١١٧.

٣٢. المصدر نفسه، ص ١١٧ .
٣٣. المصدر نفسه ، ص ١١٧ .
٣٤. المصدر نفسه ، ص ١١٨ .
٣٥. المصدر نفسه ، ص ١١٨ .
٣٦. المصدر نفسه ، ص ١١٩ .
٣٧. المصدر نفسه ، ص ١٢٠ .
٣٨. صالح، زكي، بريطانيا والعراق حتى عام ١٩١٤، ط١، بغداد، ١٩٦٨، ص ٤٧ .
٣٩. قاسم، المصدر السابق، ص ٩٦ .
٤٠. المصدر نفسه ، ص ٩٦ .
٤١. ديلافاليه، المصدر السابق، ص ص ١٢٢-١٢٣ .
٤٢. المصدر نفسه ، ص ص ١٢٣-١٢٤ .
٤٣. المصدر نفسه ، ص ص ١٢٤-١٢٥ .
٤٤. اندرادى، روي فيرا، تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي "يوم سقطت هرمز"، ترجمة عيسى امين، ط١، البحرين، ١٩٩٦، ص ص ٩-٢٨؛ قاسم، المصدر السابق، ص ٩٧ .
٤٥. لونكريك، المصدر السابق، ص ١٣١ .
٤٦. ديلافاليه، المصدر السابق، ص ١٢٥ .
٤٧. لونكريك، المصدر السابق، ص ١٣٢ .
٤٨. ديلافاليه، المصدر السابق، ص ص ١٢٥-١٢٦ .
٤٩. المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .
٥٠. المصدر نفسه ، ص ١٢٨ .
٥١. المصدر نفسه ، ص ص ١٢٨-١٢٩ .
٥٢. هيرونيموس سبستيانى: هو الاب جوزيبه دي سانتا ماريا Giuseppe di S. Maria المعروف باسم سبستيانى Sebastiani ولد في بلدة كابارولا Caprarola في ايطاليا عام ١٦٢٣ وفي شبابه انخرط في السلك الرهباني لدى الآباء الكرمليين، وفي ٣ اذار ١٦٤١

أعلن نذوره الرهبانية في روما متخذاً اسماً جديداً وهو (جوزييه دي سانتا ماريا) ثم أرسل الى ألمانيا للعمل ببعض الاديرة ثم عاد الى ايطاليا وعمل في تدريس الرهبان التعاليم الدينية وعلم اللاهوت. وانتدبته الرئاسة الكنسية في مهمة رسمية إلى الهند عام ١٦٥٦ برفقة بعض الرهبان، بصفة مفتش رسولي Commissarius لدراسة احوال النصارى في منطقة الملبار - ولاية كيرالا حالياً- وأنجز المهمة وعاد الى أوروبا أواخر عام ١٦٥٨. وفي ٧ شباط ١٦٦٠ غادر روما برحلة الى الشرق حول قضية النصارى في الهند. ومر بالعراق وواصل سفره الى الهند وبعد مدة قضاها هناك عاد الى بلاده ومر بالعراق ايضاً في طريق عودته. وبعدها عاد الى ايطاليا وتوفى فيها عام ١٦٧٢. صدر كتابه عن الرحلة في السنة التي توفى فيها باللغة الايطالية في روما بعنوان "ايفادات الى الهند الشرقية للمونسنيور سبستيانى" وعنوانه بالايطالية " Speditioni All Indie Orientali di Monsignor SEBASTIANI للمزيد من التفاصيل انظر: سبستيانى، رحلة سبستيانى " الأب جوزييه دي سانتا ماريا الكرملى الى العراق سنة ١٦٦٦ م ، ترجمة بطرس حداد، ط١، بيروت، ٢٠٠٦، ص ص ٥-١٠.

٥٣. المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

٥٤. المصدر نفسه ، ص ٤٥ .

٥٥. المصدر نفسه ، ص ٤٦ .

٥٦. كارستن نيبور Carsten Niebuhr (١٧٣٣-١٨١٥): ولد في ألمانيا بمدينة لدنغورث Lüdingworth في ١٧ اذار ١٧٣٣ من اب يعمل في الزراعة. أكمل دراسته الأولية ومن ثم الجامعية في جامعة كوتنكن Gottingen وتخصص في الرياضيات وعلم الفلك. للمزيد من التفاصيل انظر:

٥٧. فرديريك الخامس Frederick V (١٧٢٣-١٧٦٦): ملك الدنمارك والنرويج في

الفترة ما بين (١٧٤٦-١٧٦٦)، وهو ابن ملك الدنمارك السابق كرستيان السادس Christian VI من زوجته الملكة صوفيا ماجدلين Sophia Magdalen. خلف فرديريك والده على العرش، وتزوج عام ١٧٤١ من الأميرة لويزا ابنة الملك البريطاني جورج الثاني وبعد وفاتها عام ١٧٥١ تزوج في العام التالي من الاميرة جوليانا ماريا Juliana Maria من

برونسويك ولفينبوتيل Brunswick-Wolfenbüttel ، وشهد عهده العديد من الإصلاحات لاسيما في مجال التجارة الخارجية والفنون. اتخذت الدنمارك في عهده موقف الحياد من حرب السنوات السبع (١٧٥٦-١٧٦٣). للمزيد من التفاصيل انظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol. IV, P.294.

٥٨. توفي رئيس البعثة (هافن) بسبب إصابته بمرض الكوليرا في آذار ١٧٦٣، وتوفي من بعده في تموز من العام نفسه الباحث (فوركال) لإصابته بالمرض ذاته، وفي العام التالي توفي الرسام (بورينفند)، ومن ثم تبعه الباحث (فون كريمير) في ١٠ شباط ١٧٦٤. وبذلك لم يبق من البعثة سوى نيبور. للمزيد من التفاصيل انظر: رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الأمين، ط١، بيروت، ٢٠٠٦، ص ص ٨-١٢.

٥٩. المصدر نفسه، ص ص ٩-١٠.

٦٠. على الرغم من الأهمية الكبيرة لرحلة نيبور إلا إنها لم تترجم ترجمة كاملة إلى اللغة العربية وإنما ترجمت منها أقسام تتعلق بالعراق. وكان هناك بعض المترجمين الأفاضل الذين قاموا بذلك. فقد ترجم الدكتور محمود الأمين فصلاً من الرحلة ونشره في (مجلة سومر) التي كانت تصدر في بغداد بعددها التاسع عام ١٩٥١ في الصفحات ما بين (٢٥٠-٢٨٠) بعنوان "رحلة نيبور في العراق في القرن الثامن عشر". ثم تولى الأستاذ سعاد العمري ترجمة بعض أجزاء من الرحلة عن أصلها الألماني ونشرها بكراس يقع في (٧٢) صفحة عام ١٩٥٤ بعنوان "رحلة نيبور إلى العراق في القرن الثامن عشر". وأعقبه في عام ١٩٥٥ بكراس آخر بعنوان "مشاهدات نيبور في رحلة من البصرة إلى الحلة سنة ١٧٦٥". فضلا عن ذلك فإن الأستاذ سعاد العمري نشر عام ١٩٥٤ مقتبسات مما كتبه نيبور عن بغداد ضمن كتابه "بغداد كما وصفها السياح الأجانب في القرون الخمسة الأخيرة".

٦١. نيبور، المصدر السابق، ص ص ٢٠-٢١.

٦٢. المصدر نفسه، ص ص ٨-١٠.

٦٣. المصدر نفسه، ص ص ١١-١٢.

٦٤. المصدر نفسه ، ص ١٣ .
٦٥. باقر،المصدر السابق، ص ١١٧؛ المجد، صلاح الدين، المستشرقون الألمان"تراجهم وما أسهموا به في الدراسات العربية"، ط١، بيروت، ١٩٧٨، ص ٨٦-٨٨.
٦٦. انظر الملحق رقم(١) في نهاية البحث وهو صورة لخريطة مدينة البصرة كما رسمها نيبور.
٦٧. انظر الملحق رقم(٢) في آخر البحث وهو جدول بأسماء محلات مدينة البصرة كما ذكرها نيبور
٦٨. نيبور، ص ص ١٢-١٣ .
٦٩. المصدر نفسه ، ص ٦٤ .
٧٠. المصدر نفسه ، ص ٦٨ .
٧١. للمزيد من التفاصيل عن الحكم المملوكي في العراق انظر: نورس،علاء موسى كاظم، حكم المماليك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١، ط١، بغداد، ١٩٧٥، ص ص ٣٠-٣٣ .
٧٢. دومينيكو سيسيني Domenico Sestini: رحالة ايطالي ولد في مدينة فلورنسا عام ١٧٥٠ وكان يمتلك ثقافة جيدة فهو أكاديمي ومهتم بدراسة الآثار والمسكوكات وكان من محبي السفر والمغامرة فسافر الى جزيرة صقلية في بلاده ومنها إلى بلدان آسيا الصغرى ودرس اللغة التركية وتعلمها واقام في اسطنبول مدة ثم غادرها الى سوريا ومنها رحل إلى العراق وزار العديد من المدن العراقية من ومنها الموصل وبغداد والبصرة ومنها عاد الى بلاده فغادر البصرة إلى الحلة ومنها انتقل براً إلى بغداد ثم إلى كركوك ومنها إلى الموصل. واتجه إلى ماردين ومنها إلى ديار بكر حتى وصل أخيراً إلى اسطنبول ومنها إلى ايطاليا وبعد عودته الى بلاده نشر كتاب ذكر فيه تفاصيل رحلته. وعمل أميناً على مكتبة كاتانيا في صقلية، وبعد سنوات تسنم إحدى خزائن الكتب في فلورنسا، وفي عام ١٨١٠ زار باريس، ودعي إلى المجر لإبداء رأيه في إحدى مجموعات المسكوكات الفنية، ثم عين أستاذاً في جامعة بيزا ثم توفي عام ١٨٣٢ .
٧٣. وعنوان الكتاب باللغة الفرنسية هو:

par 1-e Tigre, en 1781, "Voyage de Constantinople a Bassora et retour a Constantinople en 1782 par Le desert et, L Euphrate, Alexandrie..par L Academicien SESTINI".

٧٤. سيستيني، رحلة من اسطنبول الى البصرة سنة ١٧٨١، ترجمة بطرس حداد، ط١، بيروت، ٢٠١٠، ص ٦.
٧٥. المصدر نفسه، ص ص ٦٩-٧٢.
٧٦. المصدر نفسه، ص ٧٣.
٧٧. المصدر نفسه، ص ٧٤.
٧٨. المصدر نفسه، ص ٧٦.
٧٩. المصدر نفسه، ص ص ٧٩-٨٠.
٨٠. عبد الحسين، فلاح حسن، مدينة البصرة كما وصفها الرحالة الأوربيون في العصر الحديث، بحث منشور في موسوعة البصرة الحضارية (الموسوعة التاريخية)، ط١، البصرة (د.ت.)، ص ٣١٨، ص ٣٣١.
٨١. مدام ديولافوا: رحلة ورسمات فرنسية رافقت زوجها مارسيل ديولافوا (١٨٤٣-١٩٢٠) وهو مهندس معماري فرنسي وباحث في علم الآثار، رافقت مدام ديولافوا زوجها في أول رحلة إلى الشرق عام ١٨٨١ لإجراء بعض الدراسات على بقايا المدن القديمة وبعد عودتها قامت بنشر كتاب عن تلك الرحلة تضمن مشاهداتها والأحداث التي واجهتها أطلقت عليه اسم (رحلة ديولافوا الى ايران وشوش وكلمة).
٨٢. مدام ديولافوا، رحلة مدام ديولافوا من المحمرة إلى البصرة وبغداد سنة ١٨٨١م ١٢٩٩هـ، ترجمة علي البصري، ط١ بيروت، ٢٠٠٧، ص ص ٢٣-٢٤.
٨٣. المصدر نفسه، ص ص ٢٤-٢٥.
٨٤. المصدر نفسه، ص ص ٢٨-٣٠.
٨٥. المصدر نفسه، ص ص ٣٢-٣٣.
٨٦. المصدر نفسه، ص ٣٣.